إسهام المسلمين فى الحضارة

تأليف

حيدر بامات

تقديم ومراجعة

الدكتور

عبد الله بن إبراهيم الوهيبى

عميد كلية الشريعة بالاحساء

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ترجمة وتعليق

الدكتور

عبد القادر البحراوى

وكيل قسم أصول الدين

كلية الشريعة بالاحساء

الطبعة الثانية

١٤٠٨ هـ

مكتبة النور

الإحساء - المنوف شارع الرياض

هذه ترجمة الكتاب

MUSLIM CONTRIBUTION TO CIVILIZATION

لمؤلفه

HAIDER BAMMATE

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم بقلم فضيلة الدكتور
عبد الله بن ابراهيم الوهيبي
عميد كلية الشريعة والدراسات
الإسلامية بالأحساء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد:
فاذا ما أردنا أن نعرف أثر الإسلام فى العرب فعلينا أن نعود قليلا إلى تاريخ العرب قبل الإسلام فبنظرة سريعة نجد أن العرب كانوا قبل الإسلام يعيشون فى جاهلية فالحروب القبلية تثور بينهم لأتفه الأسباب وقد تطول فيصل أمدها إلى أربعين سنة كما ذكروا فى حرب البسوس والثارات بينهم لا تنتهى فقتيل رجل من قبيلة يثير حربا بين قبائل تستمر زمنا طويلا ويقتل بسببها كثير من الرجال فهذه الحروب أضعفتهم وجعلت بأسهم بينهم كما كان المتحضرون منهم فى شمال الجزيرة العربية بعضهم خاضع للفرس وبعضهم خاضع للروم وكانت الحرب تثور بينهم فيوعز كل منهم إلى العرب الموالين له لمحاربة الآخرين فيصلى العرب نار هذه الحرب ويكسب النصر الفرس أو الروم وهما أقوى دول ذلك الزمان فالفرس بمثابة الروس والروم بمثابة أمريكا اليوم.

وكان العرب وثنيين فى اعتقادهم فهم يعظمون الأوثان ويعبدونها ويذبحون لها فتجد لكل قبيلة وثنا تعبده وقد نصبوا حول الكعبة ثلاثمائة وستين صنما كما كان بعض الأفراد يتخذ لنفسه صنما يعبده .. روي عن بعضهم أنه يتخذ صنما من تمر فاذا جاع أكله.

وكانت نظرتهم إلى المرأة نظرة احتكار ويعدونها من المتاع فلا يورثونها بل انهم إذا مات الرجل كان أمر إمرأته إلى إبنه إن شاء تزوجها أو تركها بدون زواج وكانوا يقتلون البنات خشية العار أو الفقر فهذه بعض أوضاع العرب التى تدل على انهم كانوا يعيشون فى جاهلية حتى خرج فيهم محمد ابن عبد الله ﷺ ودعاهم إلى عبادة الله ونبذ الأصنام وجمع كلمتهم ووحد صفوفهم فصنع منهم أمة كانت خير أمة أخرجت للناس . قال تعالى : (واذكروا إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخوانا) . وقال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (آل عمران : ١١٠) فاستطاعت هذه الأمة بفضل تمسكها بالإسلام أن تنشر الإسلام فى قرابة قرن فى شرق الأرض حتى وصل إلى الهند وفى غرب الأرض حتى وصل إلى أسبانيا وأقامت دولة مترامية الأطراف إلى تلك الحدود حتى أنه ذكر عن الخليفة العباسى هارون الرشيد أنه قال للسحابة أمطرى فى أى مكان فان خيرك سيأتينى . كما أقامت حضارة من أرقى حضارات الدنيا استفادت مما سبقها من الحضارات القديمة مما لا يتعارض مع الإسلام فهضمته ثم صقلته صقلا جديدا بما يتفق مع تعاليم الإسلام فأوجدت من ذلك حضارة إسلامية لم يتحقق مثلها فى الوجود فاقت ما سبقها من الحضارات فى جميع المجالات فى التشريعات والنظم والدواوين والطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والفلك .

كل هذا تحقق للمسلمين حينما تمسكوا بالإسلام وساروا على هديه ولكن لما نبذوه وراءهم واتبعوا أهواءهم ثارت الفتن بينهم ودب النزاع والخلاف بينهم فتوزعوا إلى دول ودويلات وأخذ بعضهم يستعين على بعض بالأعداء

حتى قوضوا دولهم الكبيرة ومجدهم العظيم . وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمتى ابتغينا العزة فى غيره أذلنا الله) .

وكانت حضارة الإسلام مصدرا لحضارة أوربا اليوم فكل ما فيها من تقدم فى التشريع والتنظيم والدراسات فى مجال الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والفلك قد بدأوا فيه من حيث وقف المسلمون وقد تعامى عن ذلك كثير من مفكريهم ونسبوا كل ذلك إلى حضارة اليونان والرومان كرها للاسلام وأهله أن يعترفوا له بالفضل وتضليلا للاجيال الآتية أن تقف على حقيقة الاسلام وتعلم بعظمته وفضله على العالم ولكن هذه الحقيقة وان طمسها هؤلاء المفكرون وأخفوها عن الأجيال أراد الله لها الظهور (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون (التوبة : ٣٢) فهذه الحقيقة وإن أنكرها الأكثرون من المفكرين الغربيين فقد أعترف بها المنصفون منهم كغوستاف لوبون فى كتابه (حضارة العرب) فقد أنصف الاسلام فى مواضع من كتابه حينما يتخلى عن تعصبه لدينه ولكننا نلاحظه فى مواضع أخرى من كتابه يغمز الاسلام ورسوله (محمد) ﷺ كما أنه ينقل عن مفكرين آخرين أنصفوا الاسلام فعلى القارىء لهذا الكتاب أن يتفطن لغامزه ودسائسه على الاسلام ورجوله حيث ينسب فى بعض المواضع عظمة الاسلام إلى العرب وعبرقتهم وأنهم رفعوا من شأن الاسلام والصحيح أن الاسلام هو السر فى عظمة العرب فهو الذى رفعهم وجعلهم خير أمة وحولهم عن عبادة الأصنام إلى عبادة الله الواحد الأحد وجعلهم سادة الأمم . كما أنه يغمز رسول الاسلام حيث يجعل سر نجاح دعوته إلى ذكائه وقوة شخصيته

وهو يريد من هذا الطعن في نبوته لأن تعصبه لنصرانيته يجعله لا يسلم بنبوته وقد أشرت إلى هذه المغامز إشارة سريعة ولم أمثل عليها لأنها كثيرة في الكتاب يدركها حتى من يتصفح الكتاب على عجل كما انى لست بصدد تقويم هذا الكتاب حتى أفصل القول فيه وإنما ذكرته عرضا لأن الكتاب الذى أقدم له عنوان : (إسهام المسلمين في الحضارة الانسانية) تأليف الكاتب الباكستاني حيدر بامات . وهذا الكتاب قد إشتمل على مقدمات أولية وثلاثة أبواب ، تحدث فيها عن إسهام المسلمين في الحضارة الانسانية في مجال الرياضيات والطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعي والطب والفلسفة والآداب والجغرافيا والتاريخ والعلوم السياسية والهندسة المعمارية والفنون التشكيلية وقد أجاد في هذه المواضع التي تحدث عنها فبين فيها فضل المسلمين وما قدموه للبشرية في هذا المجال مما يدل على عظمتهم وعظمة الاسلام الذى أوصلهم إلى هذا العلم والمجد ونقل أثناء حديثه نقولا عن كبار المفكرين الأوربيين الذين أنصفوا الاسلام وبينوا أن علماءهم في هذه الفنون إنما استفادوا من علماء المسلمين وأن فضل التأسيس فيها يعود إلى علماء الاسلام لا إلى علماء اليونان كما كان يصوره المتعصبون من مفكري أوربا .

وقد أجاد المترجم في نقل عبارة المؤلف إلى اللغة العربية كما أنه أضاف إلى الكتاب بعض التعليقات المفيدة كتخريج بعض الأحاديث وانتقاد المؤلف في بعض الآراء والمفاهيم وبعض الاضافات المكملة الفائدة .

وهذه التعليقات هامة ومفيدة لقارىء الكتاب وفيها تكميل لبعض النقص في الكتاب يستفيد منها القارىء فنسأل الله التوفيق والمثوبة للمؤلف والمترجم

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وهو حسبنا ونعم الوكيل
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

د. عبد الله بن ابراهيم الوهيبي
عميد كلية الشريعة والدراسات
الإسلامية بالاحساء
٢٠ / ٦ / ١٤٠٨ هـ

مقدمة المترجم للطبعة الثانية

......

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا ﷺ عبده ورسوله .

وبعـــد :

لقد صدرت الطبعة الأولى فى الاسكندرية فى صورة تختلف عن الطبعة التى نحن بصددها . ذلك لأننا أجرينا تعـــديلات جوهرية على الكتاب فى جملته مادة وشكلا .

فمن حيث الشكل قسمت الكتاب إلى فصول وأبواب فجعلت الباب الأول (الحضارة الاسلامية نشأتها وتطورها) وهو يتكون من عدة فصول هى : أصول الحضارة الاسلامية ـ تطور الحضارة الاسلامية ـ وأخيرا العصر الذهبى للحضارة الاسلامية . ولقد عنونت البـاب الثانى بانتقـال الحضارة الاسلامية إلى أوروبا فى العصور الوسطى . وهو يحتوى على الفصل الأول وعنوانه (كيف غزت الحضارة الاسلامية الغرب) والفصل الثانى وعنـوانه (المعابر التى اتخذها الغزو الاسلامى) . أما الباب الثالث وهو عـين القصيد الذى يحمل عنوان إسهام المسلمين فى الحضارة . فيتنـاول الفصل الأول فيـه إسهام المسلمين فى ميدان العلوم الطبيعية والرياضية . ويتناول الفصل الثـــانى إسهام المسلمين فى ميدان الفلسفة ، وأخيرا يتناول الفصل الثالث إسهام المسلمين فى الآداب والفنون والعلوم الإنسانية .

هذا وقد أضفت الجديد على مادة الـكتاب فأجريت كثيرا من التنقيـح والتصحيح على الترجمة الأولى . كما أعـدت صياغة كثير من الفقـرات فيهـا لتكون عباراتها أسلم وأقرب إلى إستيعاب المعنى المراد .

والأهم من ذلك ما أضفته من تعقيبات وتعليقات فى الحاشية — فهى لم تكن موجودة بالمرة فى الطبعة الأولى — على بعض النقاط التى تتضمن مسائل تستدعى التصحيح أو التوضيح . وقد أشرت فى التعليقات التى أضفتها للكتاب — إلى المراجع . وذكرت بعض النصوص وفصلت ما يحتاج إلى تفصيل وقد تابعت المؤلف فى فكرته وطريقة تصوره لتكون الترجمة أصدق، ولم أعدل عن الترجمة الدقيقة إلا فى مواطن قليلة جدا تستدعى ذلك لإيضاح المعنى المراد .

وأنى لأرجو أن أكون قد وفقت فى ترجمة هذا الكتاب ، وفى زيادة نفعه للقارىء ، وسد حاجة من يريد معرفة تاريخ الحضارة الاسلامية .

وجزى الله عنى خير الجزاء فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن ابراهيم الوهيبى — عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بالاحساء — جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية الذى وجدت فيه خير معين بعد الله سبحانه وتعالى فقد كان حفظه الله دقيق الملاحظة حسن التوجيه — على الرغم من مشاغله الكثيرة — ولا نزكى على الله أحدا ، فجزاه الله عنى خير الجزاء وأجزل له المثوبة .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب والحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين .

الدكتور
عبد القادر البحراوى
المترجم
يوم الجمعة ١٢ جمادى الأولى ١٤٠٨
الموافق أول يناير ١٩٨٨

تصـــدير الكتاب[1]

الك الحمد والشكر على ما أنعمت ، ولك الفضل على ما وفقت ، فاليك نضرع ولك نسعى ونستعين بك ، ونصلى ونسلم على نبيـك المصطفى نبى الرحمـة الذى لا يضل من اتبعـه ، وعلى آله وصحبـه ومن والاه إلى يوم الدين .

وبعـــد :-

فقد عرف المسلمون منذ البداية أن الله قد أختارهم لحمل رسالة خير وتمدين للانسانية (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعـروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران (٣) .

فلم ينته القرن الثانى من الهجرة حتى كانت الدولة الاسلامية تمتد فى آسيا وأفريقيا وأوروبا ، وخفقت راية الاسلام باسطة حكمها على ما بين جبـال البرانس وجبل طارق فى الغرب ، وقلب الهنـد فى الشرق ، وما بين شواطىء البحر الأبيض المتوسط فى الشمال ومجاهل أفريقيا فى الجنوب .

وبعد هذه الفتوح حول المسلمون جهودهم إلى ميدان الحضارة فتطلعوا إلى العلوم والفنون ، وإزدهرت الحضارة الاسلامية أبان العصر العبـاسى وبدأ المسلمون فى نقل الفكر الانسانى وقد وصل اليهم من خـلال مسالك مختلفة فاستوعبوه وهضموه واختاروا منه ما لا يتعارض مع عقيدتهم ثم طوروه ووصلوا به إلى ذروة الكمال . وبينما كان العـالم الاسلامى يضطرم بالعـلم

---

(١) مقدمة الطبعة الأولى الاسكندرية ١٩٨٢ م .

إضطراما ، كان العالم اللاتينى فى جدب وفى حياة فكرية خاوية ، رق فيها الفكر أو كاد .

كان إذن لا بد من تقابل الفكرين ولا بد أن تنفذ الحضارة الأقوى إلى الحضارة الأدنى ، وسرعان ما بدأ الظلام ينقشع تدريجيا معلنا عن صبح مشرق وأخذ الدفء يسرى فى الشرايين ليقضى على برودة القرون المظلمة ، ولم يكن يحدث هذا إلا بانتقال التراث الاسلامي إلى أوروبا العصور الوسطى . فحين دخلت أسبانيا تحت لواء الاسلام بدأ العرب يقومون برسالتهم الثقافية فيها . وقد أستطاعوا فى أقل من قرن أن يحيوا ميت الأرض ، ويعمروا خراب المدن ، ويقيموا أفخم المبانى ، ويوطدوا وثيق الصلات التجارية بالأمم الأخرى ، ثم شرعوا يتنافسون فى تحصيل العلوم والآداب وصاروا ينشئون المدارس والمكتبات ، وحكى أنه كان فى أسبانيا المسلمة وحدها سبعون مكتبة عامة ، وكان فى مكتبة الخليفة فى قرطبة ستمائة ألف كتاب علمى وفلسفى بين مترجم ومؤلف فى حين أن ملك فرنسا ـ شارل الحكيم ـ لم يستطع بعد أربعمائة سنة أن يجمع فى مكتبة فرنسا الملكية سوى تسعمائة مجلد ثلثها فقط فى غير علم اللاهوت .

وقد دخل العرب صقلية وجنوب إيطاليا ، وأدخلوا بها الصناعات والعلوم والفنون ، وكانت صقلية ـ والأندلس ـ معبرا للعلوم والفنون الاسلامية إلى العالم اللاتينى .

وهناك رأى خاطىء يقول : إن العالم اللاتينى حين أقبل على نقل الحضارة الاسلامية ، إنما كان يسترد تراثه !! فالعرب إنما كانوا تلاميذ أوفياء للتراث اليونانى ، وأنهم حفظوا هذا التراث حتى نقل خلالهم مرة ثانية ، فرجع إلى أصحابه الأصليين، وقد سيطر هذا الرأى على عقول بعض الباحثين الأوروبيين

- على ما فيه من مجافاة للحقيقة .

ونحن لا ننكر - إظهارا للحقيقة التاريخية - أن بعض المسلمين تتلمذ على يد اليونان أو غيرهم ، فذلك أمر لا ينكره إلا مكابر ، وسنة التطور أن تستفيد حضارة من حضارة سابقة . والفكر اليونانى ذاته إذا حاولنا أن نخضعه لقاعدة الرد هذه سنجد أن أكثره يمكن أن يرد إلى حضارات أخرى أسبق وأخصب من الحضارة اليونانية أنذاك . والذى ينبغى لنا أن نسجله : هو أن التراث الاسلامى الذى ترجم إلى اللاتينية فاق كثيرا جدا ما خلفه اليونان - أو غيرهم - من تراث .

فهناك الكثير من الاضافات والتصحيحات التى أدخلها المسلمون على هذا التراث فضلا عن المعارف والعلوم الجديدة التى وضعها المسلمون والتى لم تكن معروفة لليونان أو غيرهم .

ولا عبرة - أيضا - بمن يدعون من الغرب بأن الحضارة الحديثة فى العالم قامت على أكتافهم متجاهلين فضل أساتذتهم المسلمين الذين أناروا لهم الطريق فى ظلام القرون الوسطى - إلى سبيل الحضارة ومهدوا لهم سبيل المعرفة والتقدم ، ومهدوا لهم الطريق للنهضة الفكرية الكبرى . ولكل أمة أجل (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

لقد أنتهى سلطان المسلمين على العالم بعد أن أيقظوا الأمم من نوم عميق عبر القرون ، فقاموا ليؤدوا أدوارهم التى مهدها لهم المسلمون ، وأخذوا فى تكملة بناء حضارة العالم وفق الأسس التى شادها المسلمون .

وبعبارة أخرى : فى الوقت الذى أخذت فيه شمس الحضارة الاسلامية تميل إلى الغروب ، وبدأ مدها العالى فى الانحسار جعلت أوروبا تفيق من

سباتها الطويل لتصحو فتتلقى اشراقة شمس الحضارة الاسلامية ويغمرها فيض الثقافة الاسلامية .

ونحن فى الوقت الحاضر فى أمس الحاجة إلى أن نعى ونحدد الدور الحضارى المجيد الذى قام به أجدادنا فى تاريخ الحضارة الانسانية ، حتى نبين للعالم أجمع أن ما يدعيه مؤرخو الغرب المغرضون فى عصر عمدوا فيه إلى اخفاء حقائق التاريخ وتشويه معالم الحقيقة ، فقد أنكروا أصحاب الفضل الأول فى هذه الحضارة ، وأصالة دور المسلمين فيها وأظهروا أنفسهم فى صورة العملاق حتى قالوا : (بالمعجزة الغربية) وهى عبارة رنانة تعلق فى أذهان الناس فى الغرب ، وفى أذهان الكثيرين من أبناء الشرق أولئك الذين جهلوا تاريخ حضارتهم وتراثهم ، وأخذت بلبهم الحضارة الغربية .

ومن ثم كان الواجب علينا نحن وارثى هذه الحضارة الرائدة والتراث الخالد العناية بها والاهتمام بالافادة بها ، لأن تلك العناية ، وهذا الاهتمام يكشفان عن الجذور والعناصر لأصالة المسلمين ، والمعبرة عنها أصدق تعبير فى عصورها الزمنية المختلفة إذ أن تراث الأمم هو الأساس الراسخ الوحيد لحاضرها ومستقبلها .

وهناك ما أحب أن أنبه عليه فى هذه العناية الواجبة بالتراث ، وهو التأكيد على أن العناية بهذا التراث ما ينبغى أن تقف عند حدود الإشادة والاعتزاز ، أو تمتد إلى التباهى والتفاخر ، لأن ذلك جهد الكسالى والعاجزين ، وإنما نريد أن تمتد هذه العناية لتشمل الإفادة من التراث فى تصور حاضر إسلامى ملائم ومستقبل للامة الاسلامية أدعى لأن يصفها من جديد تحت مظلة الاسلام الشاملة المتكاملة وأن يتحول هذا الفكر إلى واقع عملى ملموس .

فهذا هو الهدف من ترجمة كتاب (إسهام المسلمين فى الحضارة) لمؤلفه حيدر بامات ..

وكتاب إسهام المسلمين فى الحضارة تبدأ قصته الحقيقية بالعصر الذهبى للحضارة الاسلامية ، حيث يعرض لنا مؤلفه حيدر بامات تطور الحضارة الاسلامية علما وفنا وأدبا منذ تأسيس مدرسة بغداد ، ويوضح لنا أن العصر العباسى يعتبر بحق عصر إزدهار حقيقى ، وهو يستشهد بالعديد من الأفكار والنصوص والمقتبسات التى استمدها من أولئك الذين كتبوا عن الحضارة الاسلامية .

ثم ينتقل المؤلف إلى دراسة موضوع هام وهو كيفية غزو الحضارة الاسلامية للغرب والمسالك التى أخذها هذا الغزو من خلال استعراض الاسهام الاسلامى فى شتى مجالات العلوم والفنون . ويبدأ المؤلف فكرته الأساسيه فى هذا الجانب بالإجابة على السؤال : متى وصل الإسلام إلى أوروبا ثم يستتبع هذا بتحديد المسالك التى نفذ من خلالها إلى العالم الغربى .

أما من ناحية وصول الإسلام إلى أوروبا فان الكاتب يستبعد منذ البداية الفكرة الشائعة لدى الدارسين والقائلة بأن الحروب الصليبية هى المسئولة بصفة رئيسية عن مثل هذا الالتقاء ، ويشير إلى أن الحضارة الاسلامية دخلت أوروبا عن طريق أسبانيا وصقلية وجنوب فرنسا ، وقبل ذلك لعبت التجارة الدور الرئيسى فى الالتقاء بين الحضارة الاسلامية وأوروبا النصرانية .

والكاتب يقدم لنا العديد من الأمثلة التى تشير إلى التقاء الغرب بالحضارة الإسلامية فكريا وماديا بعيدا عن التعصب والفرقة التى حاولت الحروب الصليبية بذر بذورها فى طريق هذا الالتقاء .

وحين ينتقل الكاتب لمعالجة إسهام المسلمين فى الحضارة ، نجده منذ البداية يؤكد أنه سوف يشير إلى الاكتشافات والأمثلة التى تدين أوروبا بفضلها لحضارة الإسلام . ولذا فانه يستعرض الأمثلة المتعددة للعلوم ومدى ما أحرزه الغرب من تقدم فيها من خلال الفكر والنظر الإسلامى . فيوضح أن الفلك والرياضيات من بين العلوم الهامة التى استرعت انتباه علماء الإسلام وهو يشير إلى نماذج عديدة للكتابات والمؤلفين الذين اهتموا بعلم الفلك مثل البتانى وابن يونس والحسن بن الهيثم والبيرونى وغيرهم .

وأما فى مجال الرياضيات فنجد الإشارة الهامة لكتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى ، وكذلك يشير المؤلف إلى روعة الإسهام فى حساب المثلثات ومعرفة جيب التمام والظل ، وفضل المسلمين فى إختراع الصفر الذى أحدث إنقلابا ثوريا فى الرياضيات .

وأما فى مجال علم الطبيعة فان المؤلف يستشهد باسهامات الحسن بن الهيثم الرائدة فى مجال البصريات حيث يعتبره مؤلفه بداية العلم الحديث فى علم الضوء .

وهكذا نجد المؤلف يعالج الموضوعات المختلفة فى مجال العلوم الطبيعية والطب والكيمياء ومدى إرتباط الكيمياء بالصيدلة ، وكيف أن مفكرى الإسلام استطاعوا أن يستحدثوا فرعا جديدا وهو ما نعرفه بعلم الكيمياء الصيدلية .

وأما فى مجال الآداب والعلوم الإنسانية مثل الجغرافيا والتاريخ والسياسة والإجتماع فيبرز المؤلف الإسهامات الرائدة فى هذا المجال .

وأما فى مجال الهندسة المعمارية والفنون التشكيلية فيشير الكاتب إلى أهمية الإسهام الإسلامى فى هذا المجال وروعة البناءات والعمارات الإسلامية والأثر

المعمارى الذى تركته على التراث المعمارى النصرانى ويقدم لنا الدليل على ذلك متمثلا مدى الأثر الواضح لمسجد قرطبة فى أسبانيا على البناء المعمارى لكنائس النصارى .

وهكذا يتتبع المؤلف الجوانب المشرقة للفكر الإسلامى فى شتى المجالات وهو بهذا العمل الرائد أبرز الاسهام العلمى الحقيقى للعالم الاسلامى فى سياق الحضارة وقضى على الأفكار التى تقلل من أهميته وتشوه حقيقته .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فى نقل أفكار (حيدر بامات) كما قصد اليها ، وأن ينفع القارىء بهذه الترجمة ، وأن يجعل جهدى فيها فى ميزان عملى يوم القيامة ، وأن يوفقنى فى القول والعمل .

وصلى الله على نبينا محمد وسلم

الدكتور

عبد القادر البحراوى

رمل الاسكندرية

٥ / ١١ / ١٩٨٢

ملاحظات تمهيدية

ملاحظـــات تمهـيـدية

(يقوم العالم على أربعة أركان : حكمة الحكيم ، وعدالة العظيم ، وصلاة العابد ، وبسالة الشجاع) .

كان هذا الشعار محفورا على مدخل الجامعات فى أسبانيا أبان العصر الإسلامى .

ويلاحظ أن الحكمة وضعت على رأس الشعار ولا عجب فى ذلك حيث أن الإسلام يتمدح فى كثير من الآيات القرآنية [١] وفى حديث الرسول ﷺ : أن حبر العالم لأثمن من دم الشهيد [٢] ، كما يحث المؤمن على طلب العلم ولو فى الصين [٣] وظل المسلمون على ولائهم لهذه العقيدة على مدى قرون عديدة

---

(١) ليس من شك فى أن العلم فى الإسلام دعامة من دعائمه ، وركن من أركانه ولقد مدح محمد سبحانه وتعالى القلم الذى يسطر العلماء به ، حين أقسم به تعالى فى سورة القلم (والقلم وما يسطرون (١)) . ومدح العلماء فى قوله تعالى فى سورة فاطر (إنما يخشى الله من عباده العلماء (٢٨)) وقوله تعالى فى سورة المجادلة (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (١١)) وقوله تعالى فى سورة الزمر (قل هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون (٩)) وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة .

(٢) مداد العلماء أفضل من دم الشهداء (موضوع) أنظر مختصر المقاصد الحسنة - تحقيق محمد الصباغ حديث ٩٢٦ ص ١٨٠ ، وأيضا الفوائد المجموعة - كتاب الفضائل حديث ٥٣ للشوكانى ، والدور المنشورة - السيوطى - حديث ٣٦٦ ، المقاصد الحسنة للسخاوى .

(٣) حديث باطل لا أصل له . أنظر الأحاديث الضعيفة (الموضوع) تخريج محمد ناصر الألبانى المكتب الاسلامى ج ١ حديث ٤١٦ ، وقد أورده ابن الجوزى فى الموضوعات ١ / ٢١٥ - تحقيق عبد الرحمن عثمان ، نشر =

ويقول فيليب حتى[1] ، طيلة النصف الأول من العصور الوسطى ، لم يساهم شعب فى تقدم البشرية كما ساهم العرب. إذا أخذنا هذه العبارات على أنها تعنى كل من كانت لغتهم الأصلية هى : العربية ، وليس فقط من يعيشون فى شبه الجزيرة العربية .. فقد ظلت اللغة العربية هى لغة العلم والثقافة والتقدم الفكرى لكل العالم المتحضر فيما عدا الشرق الأقصى . ومن القرن التاسع الميلادى[2]

= المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة ط ١ ، ١٣٨٦ وكذلك اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة : السيوطى ١ / ١٩٣ ، دار المعرفة ـ بيروت ط ٢ ، ١٩٧٥

ونلاحظ أن المؤلف لم يذكر عن الرسول ﷺ ـ الأحاديث الصحيحة فى العلم وطلبه وفى الرحلة فى طلب العلم . منها على سبيل المثال لا الحصر : عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ ، قال : ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقه إلى الجنة . رواه مسلم . وروى عن أنس ابن مالك ـ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (طلب العلم فريضة على كل مسلم ...) رواه ابن ماجه .

(١) هناك أكثر من شاهد من أبناء الغرب ومفكريه يعترفون بذلك التأثير القوى الذى تركته الحضارة الإسلامية فى الغرب ، مما أضاء لهم طريق النهضة ، ويسر لهم سبل احياء العلوم ، نجد هذه الاعترافات على ألسنة مشاهير الكتاب أمثال :ـ

- جوستاف لوبون فى كتابه حضارة العرب .
- دى بور فى كتابه تاريخ الفلسفة فى الإسلام وغيره .
- ديلاسى أوليرى فى كتابه الفكر العربى ومكانته فى التاريخ وغيره .
- سيجريد هونكه فى كتابها شمس العرب تسطع على الغرب .
- ويلز هـ ج . فى كتابه معالم تاريخ الانسانية . وغيرهم .

(المترجم)

(٢) يميل المؤلف فى كتابه إلى إستخدام التقويم الميلادى فقط ، وسوف نكتب التاريخ الهجرى بجانبه . (المترجم) .

الثالث الهجري حتى القرن الثاني عشر (السادس عشر الميلادي)، كانت المؤلفات المكتوبة باللغة العربية في الفلسفة والطب والتاريخ والدين والفلك والجغرافيا أكثر منها في أي لغة أخرى.

وعلى أية حال إذا أردنا الحصول على صورة دقيقة للحضارة الإسلامية فيجب أن نضع نصب أعيننا أن هذه الحضارة لم يصنعها العرب وحدهم، ولكنها كانت ولا تزال نتاج شعوب من أجناس مختلفة ولغات مختلفة اجتمعت معاً تحت راية الإسلام في مجتمع ديني واحد، تجاوز حدود القومية. وليس من الصعب أن نميز في الحضارة الإسلامية مقدار ما أسهم به كل شعب من هذه الشعوب.

ويعود الفضل في هذه الوحدة الروحية إلى «الإسلام» إلى عقيدة التوحيد الراسخة التي منها نبعت القوانين الاسلامية التي حكمت حياة المؤمن العامة والخاصة. كما يعود الفضل – إلى حد كبير – إلى: سحر اللغة العربية والفكر اليوناني في أسمى صورة[1]، كما يعبر عنه سقراط[2]:

---

(١) يحاول الكاتب في هذه العبارة أن يؤكد على أهمية الدور الذي لعبه الفكر اليوناني في تكوين الحضارة الاسلامية متجاهلا الدور السابق الذي لعبه هذا الفكر في الحضارة الاسلامية: راجع بحثنا: أثر الفكر اليوناني في أصالة انطلاق الفكر الاسلامي. مجلة كلية الآداب العدد ٤ وكذلك تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام للدكتور محمد علي أبو ريان ص ٢٦، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٦.

(٢) سقراط (٤٦٩ – ٣٩٩ ق.م) فيلسوف يوناني من أثينا، لا نعلم عنه شيئا مؤكدا إلا أن بعض الكتاب اعطونا عنه أوصافا، لم يترك كتابا خاصة وربما لم يكتب شيئا على الاطلاق، وكل معلوماتنا عنه قد جاءتنا

(إنه ليس المولد بل التربية هي التي صنعت الحضارة) الهيلينية) وعندما تأخذ المسلم الذى خلق فى بوتقة الاسلام ، فلا نستطيع المبالغة فى تأكيد الدور الذى لعبته اللغة العربية الساحرة بكل ما فيها من رقة واثارة ، والتى ظلت نظير اللغة اللاتينية فى العالم النصرانى – ليست لغة الثقافة فقط ، بل لغة التخاطب لكل البلاد الاسلامية أيضا . وكلغة الدين فقد تركت أثر بالغا فى جميع لغات العالم الاسلامى ، وكانت سيطرتها قوية أبان العصور التى بلغت فيها الحضارة الاسلامية قمتها لدرجة أن قال فيها فيليب حتى : إن كل انسان فى الامبراطورية الاسلامية (١) اعتنق الاسلام وتكلم العربية كان يعد عربيا .

أما الدور الذى لعبه العرب فى الحضارة الاسلامية فدور كبير . فلا يستطيع أحد أن ينكر اسهامهم فى تأسيس هذه الحضارة وبلوغها الذروة . ففى الواقع بلغت الحضارة الاسلامية ذروتها فى عصر هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣ هـ) (٢) والمأمون (١٩٨ – ٢١٨ هـ) (٣) حوالى منتصف القرن الثامن

= عن طريق أفلاطون وغيره راجع : الموسوعة الفلسفية المختصرة ، دار القلم بيروت د. ت (المترجم)

(١) لا أوافق المؤلف على مصطلح الامبراطوريه الاسلامية ، الذى أطلقه فى كثير من المواضع على الدولة الاسلامية ، فشتان بين الدولة الاسلامية وبين الامبراطورية الرومانية أو الفارسية (المترجم) .

(١) هارون الرشيد : هو أبو محمد وقيل أبو جعفر هارون بن محمد المهدى ابن أبى جعفر المنصور كان سمحا شجاعا كثير الحج والغزو والصدقة والصلاة ، وكان محبا للعلماء مقربا لهم ، بويع له بالخلافة سنة سبعين ومائة ، وبقى فى الخلافة حتى توفى سنة ثلاث وتسعين ومائة . كانت خلافته فى غاية من العظمة والفخامة حتى يحكى أنه كان ينظر الى السحابة الحاملة للمطر ويقول : أذهبى الى حيث شئت يأتينى خراجك . أنظر : مأثر الأنافة فى عالم =

الميلادى (١) . كما يعود الفضل الى العرب فى حضارة الأندلس المدهشة ، وازدهارها ماديا فيما بين القرن التاسع (الثالث الهجرى) والقرن الثانى عشر الميلادى (السادس الهجرى) عندما كانت جامعات الأندلس ، مقصد العلماء من العالم الغربى ، والعرب هم الذين نقلوا الحضارة الاسلامية من الأندلس الى أوروبا ومن المغرب الى صقلية ومن ثم الى جنوب ايطاليا .

ولكن بعد أن أعطينا العرب حقهم ، فان من التنكر التاريخى للحق ، كما أنه من الظلم أن نجحد الاسهام المذهل الذى أداه لهذه الحضارة شعوب آسيا الوسطى وايران وتركيا والامبراطورية المغولية فى الهند . ومن المستحيل انكار دين الحضارة الاسلامية للسلاجقة ، والتى لا يزال فى الامكان رؤية الآثار الرائعة التى تركوها فى قونية والحضارة التيمورية فى آسيا الوسطى فى القرن الخامس عشر الميلادى (التاسع الهجرى) حين اشتهرت مدن سمرقند بخارى كمراكز للعلم والثقافة . ومن المستحيل أيضا انكار دينها لايران خاصة فى عصر السامانيين والبويهيين وعلى الأخص أسرة الصفويين (١٥٠٠ - ١٧٧٢ م) (٩٠٦ - ١١٨٦ هـ) التى أعادت أمجاد تاريخ مملكة فارس القديمة وأحيت من الماضى ، مجد عصر الساسانيين ، على مدى قرنين من الزمان ..

= (١) الخلافه : القلقشندى ص ١٩٣ ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٠ (المترجم) .

(٢) المأمون : أبو العباس وقيل أبو جعفر عبد الله بن هارون الرشيد . ولى الخلافة سنة ثمان وتسعين ومائة وتوفى سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وهو الذى نقل كتب الحكمة من اليونانية الى العربية . انظر مآثر الأناقة - مرجع سابق ص ٢٠٨ (المترجم)

(١) فى الأصل : منتصف القرن الحادى عشر الميلادى (المترجم)

اعتبرها (جايوت) العصر الذهبي للفن الفارسي . في أوج مجده من الجمال والاتساق والدقة (فكان توهج آخر جذوره من النار) كما أنه من الظلم أن ننكر - كما يفعل الكثير من المستشرقين - إسهام الأتراك العثمانيين ، وهو اسهام كبير فالدولة العثمانية [1] تستعيد عظمة الدولة [2] الاسلامية ولكنها كانت - أيضا - أكثر البلاد حضارة فى القرن السادس عشر الميلادى (العاشر الهجرى) .

وأعظم ملك فى العالم فى ذاك الوقت هو سليمان القانوني [3] ، كان أيضا شاعرا مبرزا وراعيا مرموقا للاداب ، وأعظم العناصر الثقافية فى الدولة [4] العثمانية خلال عصر يبرز فى العلوم والفنون ، وفى ازدهار التأليف فى اللغات العربية والفارسية والتركيه وفى الآثار المعاصرة فى اسطنبول وادرنه ، وفى الصناعات الفاخرة ، وفى فخامة حياة البلاد وعظماء البلاد ، وأخيرا وليس آخرا فى تسامحها الدينى ، فامتزجت الحضارات التركية والبيزنطية والايطالية ، لتشكل قمة الحضارة العثمانية .

---

(١) أن المرحلة التاريخية (٩٢٢ - ١٣٣٧ هـ) من التاريخ الاسلامى يطلق عليها اسم الدولة العثمانية . راجع التاريخ الاسلامى : العهد العثمانى - محمود شاكر . الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - المكتب الاسلامى . (المترجم)

(٢) فى الأصل : (الامبراطورية) .

(٣) فى الأصل سليمان العظيم والصحيح ما أثبتناه .

(سليمان القانونى) : (٩٢٦ - ٩٧٤ هـ) . ولد سليمان عام ٩٠٠ هـ وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه عام ٩٢٦ ، وفى عهده بلغت الدولة أوج قوتها واتساعها، توفى فى أثناء حصاره لاحدى قلاع المجر عام ٩٧٤ هـ . أنظر : التاريخ الإسلامى محمود شاكر - مرجع سابق ١٠٤/٨ (المترجم)

(٤) فى الأصل : (الامبراطورية) .

ولكى نعطى فكرة عن نظرة التقدير العظيم التى نظرت بها الشعوب المعاصرة للمعاهد العثمانية ، نذكر أن هنرى الثامن ملك انجلترا أرسل بعثة الى تركيا لتدرس القانون العثمانى قبل أن يقوم بتنقيح النظام القضائى فى انجلترا .

وأخيرا كيف يمكن أن ننسى أنه فى ذلك العصر تركت دولة المغول فى الهند « تاج محل » وروعته المعمارية التى لم يفوتها شىء ، وكتاب « أكبر نامه » لأبى الفضل الذى يقول عنه « كارا دى فو » : ذلك العمل الفذ النابض بالحياة والفكر والمعرفة حيث يتناول كل جوانب الحياة ... انها وثيقة تفخر بها حضارة الشرق . ان الشعب الذى تبدو عبقريته فى مثل هذا الكتاب كانوا يسبقون عصرهم فى نظراتهم فى الفلسفة الدينية ، فهؤلاء الشعراء والفلاسفة عرفوا كيف يتعاملون مع عالم المادة ، فقد سجلوا ملاحظاتهم على تجاربهم ورتبوها واستخرجوا نتائجها ، وكل ما ظهر لهم من أفكار لخصوه فى ضوء الحقائق وعبروا عن ذلك بكل فصاحة بل دعموا ذلك بالاحصائيات . وينهى كارا دى فو حديثه بالثناء على مبادىء التسامح والعدالة التى سادت طيلة حكم « أكبر نامة » .

الباب الأول

الحضارة الإسلامية

نشأتها وتطورها(1)

(1) العنوان من وضع المترجم.

الفصل الأول [1]

أصول الحضارة الإسلامية [2]

(١) من وضع المترجم .
(٢) من وضع المؤلف .

عندما بزغ نور الإسلام على العالم فى منتصف القرن السابع الميلادى كانت الحضارة اليونانية والرومانية قد بدأت فى الأفول ، كما أن بيزنطة التى كان عليها أن تحافظ على الحضارة اليونانية والرومانية قد فشلت فى ذلك . فهى لم تعجز عن الحفاظ على كنوز الثقافة التى انتقلت اليها من روما فكانت سبب تدمير عدد كبير من المؤلفات العلمية والآثار الفنية التى خلفتها عصور سابقة .

فالأباطرة الباسيلين ـ بتحريض من الأرثوذكس البيزنطيين المتعصبين ـ حاولوا تحطيم كل آثار الحضارة الوثنية ولقد لطخ الامبراطور (تيودور) الثانى سمعته بتدميره شمال افريقيا تدميرا واسعا ، وبناء على أوامره ـ لا أوامر الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) تم تدمير مكتبة الاسكندرية الشهيرة (١) تلك الجريمة البشعة . وفى سنة ٤٨٩ ميلادية ، أغلق الامبراطور (زينو) المدرسة الشهيرة فى الرها ، التى كانت منذ القرن الثانى مركز اشعاع للغة السريانية والثقافة اليونانية فى كل الشرق . ولقد خسر (جستنيان) شهرته بغلقه المدرسة الأفلاطونية الشهيرة فى أثينا وكذلك المدارس فى الاسكندرية .

---

(١) ذهب عبد اللطيف البغدادى فى كتابه : الافادة والاعتبار . والقفطى فى أخبار العلماء وأبو الفرج الملطى الى القول بأن عمرو بن العاص قد أحرق مكتبة الاسكندرية بناء على أوامر عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ولكن كثير من المؤرخين أمثال المقريزى واليعقوبى والطبرى والبلاذرى والسيوطى وغيرهم . وأيضا كثيرا من المستشرقين أمثال جيبو Gidbow وبتلر Butler وسديو Sedillot وجوستاف لوبون Lebon . رفضوا هذه التهمة لأن المعروف أنهم كانوا يشجعون العلم ، وأن روايات البغدادى والقفطى ظهرت بعد ستة قرون من وقوع الحادثة ، ولأن مكتبة الاسكندرية قد أصابها الحريق مرتين قبل عمرو بن العاص . انظر : تاريخ الاسلام السياسى والاجتماعى والدينى . حسن ابراهيم حسن ١ / ٢٤٢ ط ١٩٥٦ (المترجم)

ولقد لجأ الرهبان النساطرة من الرها ونصيبين، وفلاسفة أثينا والاسكندرية من اضطهاد الكنيسة الأرثوذكسية والسلطات البيزنطية الى بلاد فارس، وهناك في جو الحرية الكاملة وتحت الحماية المتسامحة للساسانيين استطاعوا الاستمرار في ترجمة الكتب المقدسة لآباء الكنيسة، وكذلك الكتب الفلسفية والعلمية من العصور الأولى لليونان.

والى الجهد الدائب من هؤلاء الرهبان النازحين يرجع الفضل في أن وجد العرب عند فتحهم لسوريا وفارس جزءا هاما من تراث الفكر اليوناني.

لقد تأثر العرب أيما تأثير بما فيهم من حب استطلاع موروث، بهذا العالم الذي انفتح أمامهم بما فيه من أفكار ومعارف جديدة. فبدأ المتحضرون في دراسة فنون [1] وعلوم هؤلاء الرعايا بشغف، فبدأوا أولا: في ترجمة النسخ الشرقية للمؤلفين اليونانيين الى اللغة العربية، ثم بعد ذلك تلك المؤلفات الأصلية التي لم تكن قد ترجمت من قبل للسريانية أو الكلدانية.

---

(١) نلاحظ أن العرب لم يحرصوا – في الغالب – على الأخذ من الأدب والفن اليوناني، بل كان اهتمامهم منصب على الطب وغيره – لأن الناس في حاجة اليهم. راجع كتابنا: انتقال التراث الاسلامي الى أوروبا ابان العصور الوسطى، ص ١٩٢ – طبعة الاسكندرية ١٩٨٢ (المترجم)

الفصل الثاني

تطور الحضاره الإسلامية

يرجع الفضل فى تقدم وتطور الحضارة الإسلامية إلى الخلفاء الأمويين[١] الذين كثيرا ما لا ينصفهم المؤرخون المسلمون فملوك هذه الأسرة لم يترددوا فى استثمار مواهب رعاياهم بغض النظر عن الجنس أو الدين ، وهكذا شق الكثيرون من العلماء والشعراء ، والكتبة ، طريقهم إلى بلاط الخلفاء الأمويين.

ويرجع الفضل فى بلوغ الثقافة والفنون درجة كبيرة فى ذلك العصر الى هذه العناصر المختلفة جنسيا ودينيا فى الدولة[٢]، فكان يزين بلاط عبد الملك[٣] الشعراء والهجاءون جرير[٤] والفرزدق[٥] والأخطل[٦] وكان نصرانيا . وكان الخليفة المغرم بالعمارة والشعر — وجدير بالذكر أنه كان هو نفسه

( ) استمرت الخلافة الأموية زهاء ٨٠ سنة ما بين سنتى (٦٥ — ١٣٢ هـ) الموافق (٦٦١ — ٧٥٠ م) . انظر تاريخ الاسلام — حسن ابراهيم — مرجع سابق ١ / ٢٧٥ (المترجم)

(٢) فى الأصل : الامبراطورية (المترجم)

(٣) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أميه (٦٥ — ٨٦ هـ / ٦٨٥ — ٧٠٥ م) يعتبر بحق المؤسس الثانى للدولة الأموية لما أمتاز به من رجاحة العقل والقدرة على تصريف الأمور ، فانتشلها من الفوضى التى وصلت اليها وأقام صرح مجدها على أسس لم يسبقه اليها من جاء قبله من خلفاء بنى أميه . انظر تاريخ الاسلام — المرجع السابق ص ٢٩٢ (المترجم)

(٤) جرير بن عطيه بن حذيفه الخطفى (٢٨ — ١١٠ هـ) أشعر أهل عصره ، ولد ومات فى اليمامه وكان هجاءا مرا فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل . الاعلام ٢ / ١١٩ (المترجم)

(٦) الأخطل : هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمروا من بنى تغلب شاعر مصقول الالفاظ ، حسن الديباجة فى شعره ابداع ، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم ، جرير والفرزدق والأخطل نشأ على النصرانيه فى أطراف الحيرة — الاعلام ٥ / ١٢٣ . (المترجم)

شاعرا - هو الذى أمر ببناء مسجد عمر بن الخطـــاب (رضى الله عنه) فى بيت المقدس .

وفى عصر ابنه وخليفته الوليد بن عبد الملك [١] الذى امتدت فى عهده الدولة [٢] الاسلامية من الهند شرقا الى مراكش غربا ، شيدت هذه الروائع المعمارية الاسلامية :

الجامع الأموى فى دمشق ، ومسجد المدينة (المنورة) [٣] .

---

(١) هو الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ/ ٧٠٥ - ٧١٥ م) كان عهده عهد فتح ويسر ورخاء، فاتسعت فى أيامه رقعة الدولة الإسلامية . انظر تاريخ الاسلام . مرجع سابق ١ / ٣٠٠ (المترجم)

(٢) فى الأصل : الامبراطورية .

(٣) أول من اخطط مسجد دمشق هو أبو عبيدة بن الجراح ، ثم بناه الوليد بين سنتى ٨٨ - ٩٦ هـ وقيل أنه انفق على عمارته خراج دولته سبع سنين حتى غدا من عجائب الدنيا . انظر تاريخ الاسلام - مرجع سابق ١/٥٢٠ (المترجم)

(٤) أول من وسع مسجد رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجعل مساحته مائة وأربين ذراعا طوليا ، وجاء الوليد وزاد مساحته الى مائتى ذراع ، وكتب الى امبراطور الروم يطلب منه العمال لعمارة المسجد . المرجع السابق ١/٥٢٢ (المترجم)

الفصل الثالث

العصر الذهبي للحضارة الإسلامية

كان حكم بنى أمية فى الشام مجرد مرحلة النمو والنضج ، اما أزهى عصور الحضارة الاسلامية ، فكان بلا شك فى عهد الخلفاء العباسيين فى بغداد (٧٥٠ – ١٢٥٨ م / ١٣٢ – ٦٤٠ هـ) والحكم الأموى فى الأندلس (٧٥٥ – ١٤٩٢ م / ١٣٧ – ٨٧٤ هـ) فى زمن كانت فيه سائر بلدان أوروبا ترزح فى الظلمة والبربرية كما يقول جوستاف لوبون : كانت بغداد وقرطبة عاصمتى الاسلام العظيمتين ، مركزين للحضارة التى أضاءت العالم بنور عبقريتها .

ويكتب جيكوب ريزلر بأنه على مدى خمسة قرون ساد الاسلام العالم بقوته وعلمه وحضارته الفائقة فبعد أن ورث الاسلام الكنوز العلمية والفلسفية للحضارة اليونانية ، نقل هذه الكنوز (بعد أن أثراها) لأوروبا الغربية ، وهكذا وسع من الأفاق الفكرية للعصور الوسطى وترك أثرا بارزا على أوروبا فكرا وحياة .

وكان تأسيس الخليفه المأمون لبيت الحكمة فى بغداد سنة ٨٣٠ ميلادية (٢١٢ هـ) حدثا هاما من أحداث العصور الوسطى ، وليس من المغالاة فى شىء أن نقول : أن هذه المؤسسة قد لعبت دورا هاما — وكانت تجمع بين الاكاديمية والمكتبة ومركز للترجمة (١) فى نقل تراث الحضارات القديمة الى

---

(١) ليس معنى هذا أنه فى عصر الدولة الأموية لم يكن هناك ترجمات تتم الى اللغة العربية . بل أن هناك ترجمات تمت لكتب الطب والكيمياء ، ونقل الديوان من الفارسية والرومانية إلى العربية . ولقد لمع فى العصر الأموى بعض المترجمين لعل من أشهرهم : —

ماسرجويه Mesirgoyoth أو ماسرجيس ، وهو طبيب يهودى فارسى ، وكان ناقلا من السريانية الى العربية ، قام بترجمة كناشة اهرن القس عن السريانية ، وأصبح من أشهر الكتب فى الطب .

=

العالم العربى ، فقد قامت هذه المؤسسة الرائدة التى ضمت علماء من النصارى واليهود والعرب على الاهتمام بالمعارف الأجنبية من علوم وفلسفة اليونان ومؤلفات جاليوس ، وهيبوقراطيس ، وأفلاطون ، وأرسطو ، والشارحين من أمثال : الاسكندر الافروديسى ونيمستينس . . . الخ . ولقد كان – من ناحية ما – غزوا فكريا بلغ ذروته فى نوع من النشوة العلمية والفكرية بين العلماء .

— اصطفن القديم : أو اصطفن الاسكندرانى وهو طبيب مترجم قام بترجمة كتب الكيمياء لخالد بن يزيد بن معاوية .

صالح بن عبد الرحمن : وقد نقل ديوان فارس من الفارسية إلى اللغة العربية.

ابو ثابت سليمان بن سعد : وقد نقل ديوان الشام من الروميه الى اللغة العربية .

ونلاحظ أن الترجمة فى العصر الأموى، كانت مقصورة على العلوم كالطب والكيمياء ، ولم تتعد ذلك ، وأيضا نجد أن محاولة الترجمة فى العهد الأموى كانت محاولات فردية تموت بموت الأفراد القائمين عليها فبعد موت خالد بن يزيد لم يهتم أحد بعلوم الصنعة .

انظر: الفهرست: ابن النديم المكتبة التجارية د ت – ص ٣٥٢ وما بعدها ، وتاريخ الحكماء القفطى ط ليبزج ١٩٠٣ ص ٣٥ ، ٧١ ، ٣٥٦ ، وطبقات الأمم : صاعد الأندلس ص ٤٧ (المترجم)

مـــدرسة بغداد

كان بيت الحكمة (١) حجر أساس لمدرسة بغداد التى ظل تأثيرها حتى النصف الثانى من القرن الخامس عشر (النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى) ويرجع الفضل الى هذه المدرسة الزاهرة فى الحفاظ على استمرارية الحضارة ، واصلاح سلسلة المعارف الانسانية التى حطمها بقوة اضمحلال روما وسقوطها فى القرن السادس الميلادى .

---

(١) لقد أسس هارون الرشيد (١٧ – ١٩٣) بيت الحكمة أو مدرسة الترجمة فكانت أكبر وأقدم المكتبات العربية العامة وجعلها زينة بغداد . ثم جاء المأمون (١٩٨ – ٢١٨) وازدهرت فى عصره بيت الحكمة ، ويقال أن المأمون كان يدفع رواتب خيالية للمترجمين ، إذ يقال أن راتب حنين بن اسحق وصل حوالى خمسمائة دينار ، ويقال أن المأمون كان يدفع وزن ما ترجم ذهبـا .

ونستطيع أن نميز فى حركة الترجمة فى الدولة العباسية بين عدة أدوار :

(أ) الدور الأول : من ولاية المنصور ١٣٦ ﻫ حتى وفاة الرشيد ١٩٣ ﻫ ونلاحظ أن الغالب على الترجمة فى هذا الدور هو ترجمة الكتب العلمية من هندسة ورياضيات ، وفلك وطب وبعض كتب الفلسفة .

(ب) الدور الثانى : ويبدأ من ولاية المأمون (١٩٨ ﻫ) وينتهى سنة ٣٠٠ ﻫ ولقد ترجم فى هذا الدور أهم الكتب اليونانية فى كل فن .

(ج) الدور الثالث : استمرت هذه المرحلة حوالى نصف قرن من سنة ٣٠٠ ﻫ إلى ٣٥٠ ﻫ ، ومما هو جدير بالذكر أن أهم ما ترجم فى هذا الدور كان الكتب المنطقية والطبيعية لأرسطو فضلا عن ترجمة الكتب الهندسية .

انظر : الفهرست : ابن النديم ، تاريخ الحكماء : القفطى ، طبقات الأمم ، صاعد الأندلسى ، مصادر سابقة (المترجم)

وجدير بالذكر أنه لو اقتصرت حضارة الاسلام على مجرد انقاذ الحضارة القديمة والحفاظ عليها بعناية ثم نقلها للاجيال التالية . لكانت هذه خدمة تجل عن الوصف ، ولكن لم يكن الأمر كذلك . فان علماء وفلاسفة مدرسة بغداد ورثة روح وتعاليم مدرسة الاسكندرية ، أضافوا وأثروا الحضارة القديمة باضافات مبتكرة فى كل فروع العلم ، باكتشافات بلا عدد فى الفنون التطبيقية وفوق كل ذلك باكتشاف طرق جديدة للبحث و الاستكشاف .

ويقول « سيديلوت » وهو حجة فى هذا الموضوع ـ أن ما تمتاز به مدرسة بغداد هو الروح العلمية الصادقة التى وجهت كل أعمالها فكانت تتقدم من المعلوم الى المجهول ، تراقب الظواهر بكل دقة لتستنتج الأسباب من النتائج ، ولا تقبل حقيقة إلا بعد التجربة . كانت هذه هى توجيهات أساتذتها . لقد امتلك العرب فى القرن التاسع الميلادى (الثالث الهجرى) الوسائل العلمية الفنية ، التى استطاع العلماء فى العصر الحديث أن يستخدموها فى اكتشافاتهم الكبرى .

ويؤيد « جب » فى عصرنا الحاضر ما سبق أن قال « سيديلوت » منذ قرن مضى بالقول : يتركز الفكر على أحداث فردية ، استطاع العلماء المسلمون أن يتقدموا بالطرق العلمية ، أكثر جدا مما فعل سابقوهم من اليونان والاسكندريين واليهم يرجع الفضل فى ادخال الطرق العلمية لأوروبا فى العصور الوسطى .

فلم تسهم مدرسة بغداد اسهاما قويا فى ايقاظ أوروبا – كما كتب « دى سيموندى » ـ فحسب بل أشرقت بالضياء على كل آسيا .

ولقد شقت الحضارة الاسلامية طريقها الى الهند حوالى عام ١٠١٦ ميلادية

(٤٧٢ ﻫ) فى عهد محمود الغزنوى، ووصلت الى السلاجقة عن طريق عمر الخيام[1] حوالى سنة ١٠٧٧ م (٤٨٢ ﻫ) ، والى المغول عن طريق نصر الدين مؤسس مرصد المراغة فى سنة (١٢٦٠ م) (٦٦٤ ﻫ) والى العثمانيين حوالى سنة ١٣٣٧ م (٧٢٣ ﻫ) . ودخلت الى الصين حوالى سنة ١٢٨٠ م (٦٨٤ ﻫ) فى أثناء حكم « كوبلاى خان » بواسطة « كوشيو كنج » ولقد أقام « توريد أولج بج » أثرا جديدا خالدا تكريما لها فى سمرقند سنة ١٤٣٧ م (٨٤٣ ﻫ) .

ولقد تخلص الغرب منذ عهد قريب من مؤامرة الصمت الذى خيم على كل جهود المؤرخين المستقلين مثل « سيموند دى سيسموندى » و « جوستاف لوبون » و « سيدبلوت » الذى أراد أن ينصف اسهام الحضارة العربية الاسلامية فى تقدم البشرية . ولا يستطيع مستشرق جاد أن ينكر هذا الاسهام ولكن بينما يقرون تماما بدور الاسلام فى نقل الحضارة القديمة الى الغرب إلا أن بعض المستشرقين ما زالوا يترددون فى الاعتراف بالروح الخلاقة عند العرب . ولكن من المستحيل — فى ضوء الدراسات الحديثة — انكار أن كل المعارف اليونانية قد أعاد العرب دراساتها وبدون هذا التجديد لها من جانب العرب ، يستحيل ظهور النهضة الحديثة (أو أحياء العلوم فى أوروبا) .

---

(١) عمر الخيام هو عمر بن ابراهيم الخيامى النيسابورى أبو الفتح ت ٥١٥ﻫ شاعر وفيلسوف فارسى ، مستعرب ، من أهل نيسابور ، مولدا ووفاة . كان عالما بالرياضيات والفلك واللغة والفقه والتاريخ ، وله شعر عربى ، وتصانيف عربية . بلغت شهرة الخيام ذروتها بقطعاته الشعرية (الرباعيات) نظمها شعرا بالفارسية ، وترجمت الى العربية والفرنسية والانكليزية وغيرها . فهو كما يقول القفطى إمام خرسان ، وعلامة الزمان . تاريخ الحكماء — القفطى ص ١٦٢ . (المترجم)

والبحث العلمى فى أسبانيا الاسلامية الذى أحرزته المدرسة الفرنسية الحديثة للدراسات الشرقية والتى كان يرأسها « ليفى بروفنس » . وتؤيد ذلك جهود بعض المؤرخين الأسبان البارزين من أمثال :

« سانشيز بورنوز » و « أسين بالاسيوث » و « جوميز مورينو » و « اميل جارشيا جوميز » .

ويكتب « سانشيز بورنوز » : بدون شك لا يستطيع أحد أن يتكلم عن العصور الوسطى المظلمة ، ففى نفس الوقت الذى كانت فيه أوروبا تعانى من البؤس والانحلال . كانت هناك حضارة مزدهرة فى أسبانيا الاسلامية .
إن قادة الدراسات العربية فى أسبانيا اليوم يفتحون أفاقا جديدة عن بذور وأثر هذ الثقافة الأسبانية العربية ، فاثبتوا الدور الحاسم الذى لعبته هذه الثقافة فى تقدم الفلسفة والعلوم والشعر ، بل وفى كل ثقافة أوروبا النصرانية . ولقد أثبتوا أن تأثيرها قد وصل إلى قمم الفكر فى العصور الوسطى حتى بلغ القديس توما الاكوينى (١) ودانتى اليجيرى .

وبلا شك يقصد أناس كثيرون على جانبى جبال البرانس أو على شواطىء البحر المتوسط ، يرفضون الاعتراف بتفوقها والدور الفعال الذى قامت فى تشكيل الحضارة .

---

(١) توماس الاكوينى (١٢٢٥ — ١٢٧٤ م) فيلسوف وراهب نصرانى تأثر بمفكرى الاسلام أمثال ابن رشد وابن سينا . ولقد تأثر بابن رشد ايما تأثير وخاصة فى شروحه على كتب أرسطو ، ونجده يسير على نفس طريقة ابن رشد فى شروحه لكتب أرسطو . انظر : ابن رشد الرشدية : ارنست رينان ترجمة عادل زعيتر ، طبعة القاهرة ١٩٥٧ (المترجم)

على أى حال هناك براهين قــوية على ذلك ، وكل يوم يأتى براهين جديدة . قبل النهضة بعدة قرون ؛ فان الينابيع التى كادت تجـف فاضت من جـديد . ولقـد إحفـظ نهـر الحضـارة الذى فـاض مـن قـرطبـة ونقــل إلى العالم الحديث خـلاصـة الفكر القــديم .

الباب الثاني

انتقال الحضارة الإسلامية
إلى
أوروبا في العصور الوسطى[1]

---

(١) العنوان من وضع المترجم

الفصل الأول

كيف غزت الحضارة الإسلامية الغرب ؟

حتى وصل الإسلام إلى أوروبا ؟ وأى السبل إتخذ اليها ؟ .

للاجابة على هذا السؤال يجب أولا : استبعاد العقيدة الشائعة — ولكنها خاطئة — وهى أن الحملات الصليبية هى المسئولة عن أول تناول للثقافة بين الشرق والغرب .

ولكى نحدد بالضبط أثر الحملات الصليبية على العلاقات بين ساحلى البحر المتوسط ، علينا أن نميز بين الثقافة الفكرية والأدبية من جانب والحضارة المادية المحضة من جانب آخر .

ولو أن هذا الأثر كان قليل الأهمية فى مجال العلوم والآداب إلا أنه كان بالغ السوء فى مجال الفكر والعلاقات الإنسانية ، فقد آثار النصرانية ضد الإسلام فى صراع لا يهدأ ، فخلق جو من التعصب والكراهية ، وإيجاد فجوة عميقة بين الغرب والشرق ولمدة قرون عديدة منع قيام أى نوع من التعاون بين العالمين .

والروابط الفكرية التى كانت قد رسخت بين أسبانيا المسلمة ، واكوتين (جنوب غرب فرنسا) فى نهاية القرن الثامن الميلادى (الثانى الهجرى) ، إنهارت بقسوة ، ولغة الحضارة التى بدت كمحاولة مبشرة بالوفاق بين الشرق والغرب إنتهت فجأة ، فلم يكد يلوح فى هذا الاتحاد بين ثقافتى البحر المتوسط حتى خبا ، وأصبح من العسير التوفيق بينهما .

كانت هذه هى النتيجة المحزنة للحملات الصليبية على المستوى الروحى ، وعلى العكس من هذا فان الغرب يدين بالكثير للحملات الصليبية فى مجال الحضارة المادية ، فقد وضعت الحملات الصليبية ، الديانة النصرانية على اتصال مباشر مع الشعوب الإسلامية على أرض الإسلام نفسه . فلم يكن القرآن

الذان قامت فيها الممالك الأفرنجية فى شرق البحر المتوسط ، حروبا متواصلة .
لقد كانت هناك فترات من السلام الفرصة لنمو العلاقات الإنسانيه بين القوات
المحتلة والمسلمين ، واتصل عدد كبير من النصارى اتصالا مباشرا بحضارة
أسمى بكثير من حضارة أوروبا فى عصرهم . فقد وجد رجال الحملات الصليبية
فى الشرق وأشياء كثيرة جديدة عليهم ، وأساليب تقنية (فنية) لم تكن
معروفة لديهم فى الغرب ، فادخال كميات كثيرة من المنتجات الشرقية إلى الأسواق
الأوروبية . واستخدام أساليب جديدة فى الزراعة والصناعة والحرف اليدويه ،
كان من أهم نتائج الحملات الصليبية ، وقد أحدث هذا تحولا كبيرا فى اقتصاد
أوروبا الغربية . وتقدمت التجارة تقدما راقيا وانضمت مارسيليا إلى دويلات
المدن الايطالية التى كانت حتى ذلك الحين تحتكر تجارة البحر المتوسط .

وبصورة عامة ، بدأت أوروبا تتلقى الدروس من الحضارة الشرقية ،
وتحول إلى الانتاج العربى (هكذا قال البرت تشمبدر فى كتابه الرائع عن
صلاح الدين أنبل أبطال الإسلام) ويقول : من الشرق تعلم أسلافنا نسج
المنسوجات الثمينة التى كانت سبب ثراء البندقيه ، ثم ثراء أجزاء من فرنسا ،
كما أخذوا من الشرق صناعة الستان والقطيفة والمطرزات الذهبية والفضية ،
والمنسوجات الرقيقة مثل : الموسلين والتل والتافتاه ، كما أنه منذ عصور قديمة
برع الشرقيون فى صناعة السجاد ذات الوبر الطويل الغزير ، ويحاول الحرفيون
فى أوروبا الآن اتقان هذه الصناعة ، وإذا كانت البندقية قد اتقنت صناعة
نفخ الزجاج وقطع المرايا ، فالفضل يرجع فى ذلك إلى الاساليب المستخدمة
فى أسواق الشرق الأدنى ، كما أن الغرب تعلم صناعة الورق ومزج الشراب
من صناع سوريا . ولقد كان لهذا الغزو السلمى أثرا باقيا على التجارة وبداية
الصناعة فى أوروبا فتعلمت أوروبا صناعة النسيج ، وانتعشت صناعات
الرفاهيه ، وتطورت فى الغرب ، واتسع الانتاج وتقدمت الأساليب الفنية .

وفى الحقيقة اكتسحت المجتمع ثورة اقتصادية وعمت القارة بأجمعها .

وكما يقول « ريزلر » فانه بالرغم من أن سوريا كانت لمدة عامين من الحملات الصليبية ، موضع الاختلاط بين المسلمين والنصارى ، إلا أنها تأتى فى المرتبة الثانية بعد صقلية ، وقبل أسبانيا من جهة تأثير العرب على الغرب .

ويجب أن نضيف أنه لا شيء غريبا فى ذلك فقد كانت العلوم والفلسفة والآداب والفنون الإسلامية معروفة فى الغرب قبل الحملات الصليبية وكان أثرها محسوسا قبل الحملات التى قام بها النصارى .

الفصل الثانى

المعابر التى اتخذها الغزو الإسلامى

لقد تم تلاقى الحضارتين النصرانية والاسلامية عبر مسالك راسخة [1] لعبت فيها التجارة والحج الدور الرئيسى .

فقد أزدهرت حركة الانتقال من الشرق والغرب من قبل القرن الحادى عشر الميلادى ، لقد دخلت الحضارة الاسلامية إلى أوروبا عن طريق أسبانيا وصقلية وجنوب فرنسا التى كانت تحت الحكم المباشر للمسلمين فى منتصف القرن التاسع سادت الحضارة الاسلاميه أسبانيا ، واعتبر الأسبان اللغة العربية الوسيلة الوحيدة للعلوم والآداب، وبلغت أهميتها حدا اضطرت معه السلطات الكنسية إلى ترجمة مجموعة القوانين المستعملة فى الكنائس الأسبانية إلى اللغة

---

(١) مما هو جدير بالذكر أن العالم اللاتينى قد اتصل بالحضارة الاسلامية فى ثلاثة مواضع : —

فى الشرق حيث دارت رحى الحروب الصليبية وصقلية والأندلس ، وقد تم هذا الاتصال فى عصور مختلفة ، وكان من الطبيعى أن يستفيد العالم اللاتينى من الحضارة الاسلامية المزدهرة حينذاك . ولكن اللاتين لم يستفيدوا كثيرا — كما نعلم — من التقائهم بالعرب فى أثناء الحروب الصليبية . أما فى الأندلس فكان الاتصال وثيقا نافعا ، فمن الأندلس الواقعة فى غرب القارة الأوروبية زحفت الحضارة الإسلامية على كل أوروبا .

أما فى صقلية وجنوب ابطاليا فكانت الحضارة مزيجا من الثقافة الإسلامية واللاتينية والاغريقية ، وكانت الصدارة بالطبع للثقافة الاسلامية ، وكان تفوق المسلمين فى العلوم واضحا وهكذا كان اللقاء بين الحضارة الإسلامية فى العالم اللاتينى وهكذا كان التلافح ، فلا ينجب فكر إلا بعد لقاء ينتقل به التراث من السابق إلى اللاحق . انظر : انتقال التراث الاسلامى إلى أوروبا — د عبد القادر البحراوى ، مرجع سابق — ص ١٦٤ وما بعدها

(المترجم)

الرومانية التي اشتقت منها اللغة الأسبانية الحديثة ، وكانت اللغتان مستعملتين في كل جهات أسبانيا الاسلامية .

وأدركت أسبانيا تفوق المسلمين وفي عام ٧٠٠ ميلادية أرسل الملك الفونس الكبير ملك أوستر باس في طلب أثنين من العلماء المسلمين ليقوما على تعليم ابنه وولي عهده ، وقد عمل الملك الفونس السادس فاتح طليطلة (توليدو) والذى كان قد تزوج أبنة ملك أشبيليه المسلم — والفونس الكبير ، عملا على التقارب الفكرى بين النصارى والمسلمين .

ويرتبط باسم (الفونس السابع) تأسيس مدرسة المترجمين عام ١١٣٠ ميلادية في طليطلة [1] وهى المدرسة الأسبانية التي تضارع دار الحكمة في بغداد ،

---

(١) لقد كان هناك مركزان من أكبر مراكز الترجمة اللاتينيه في أوروبا العصور الوسطى هما : طليطلة وبلرمو .

أولا — طليطلة : تعد طليطلة من أهم مراكز الترجمة اللاتينية ، وكانت في أيدى المسلمين منذ عام ٧١١ ميلادية (حوالى ٩٢ هـ) وما سقطت طليطلة عام ١٠٨٥ على يد الفونس السادس ، حتى صارت المنارة التي تشع منها الثقافة الإسلامية على أوروبا ، وأصبح بلاط الفونس السادس مفتاح الثقافة الإسلاميه على أوروبا ، وكان طالبوا العلم من جميع أنحاء العالم اللاتينى قد بدوا يعرفون طريقهم الى طليطلة فقدموا اليها تدفعهم الرغبة الملحة للاستزادة من علومها والتعرف على ثقافتها ، وكانت الثقافة الاسلامية حتى بعد الاستيلاء عليها هى السائدة فيها . وكان اللاتين يعلمون تماما أن لدى هؤلاء الأعداء فكرا وعلما فجاءوا يتسابقون ليعملوا على نقل هذا الفكر وهذا العلم الى عالمهم اللاتينى ، ومن ثم أصبحت طليطلة القبلة التي يتطلع اليها الراغبون في الترجمة وأهم مركز من مراكزها ، وكان القرن الثانى عشر نقطة تحول كبرى في تاريخ الحضارة الأوروبية إذ بدأ رجال الكنيسة يتراجعون بعض الشيء =

ويرجع الفضل لجهود المترجمين فى طليطلة وزملائهم فى برجوس وصقلية

= عن موقعهم حيال العلوم غير اللاهوتية ، وبدأت تظهر الكتب المترجمة . ويرجع الفضل فى قيام الترجمة الى « ريموند دى كاستيل » كبير أساقفة طليطلة (١١٢٥ - ١١٥١ م) ولقد أنشأ ريموند هذا ديوانا للترجمة يحتوى على مجموعة عظيمة جدا من ثمار العقلية الاسلامية سواء فى العلوم أو الآداب ولقد أدى هذا الديوان خدمات جليلة للعالم اللاتينى ، وكان بمثابة النافذة التى أطل منها العالم اللاتينى على الحضارة الاسلامية ويعرف هذا الديوان باسم : معهد المترجمين الطليطلى Colegio de Traductores Toledanos .

وأكثر المؤلفات العلمية العربية ترجمت عن طريق هذا المعهد وهى كتب: فى الرياضة والفلك والطب والكيمياء وعلم النفس ، وترجم كذلك مؤلفات اقليدس وبطليموس وجالينوس وابقراط بشروح اساطين الفكر الاسلامى : أمثال : الخوارزمى والبتانى وابن سينا . وترجم فى هذا الديوان كذلك أرجانون ارسطو وشروح المسلمين عليه . انظر : تاريخ الفكر الأندلسى : بالنثيا ، ترجمة حسين مؤنس ص٥٣٧ - ط القاهرة ١٩٥٥ . ولقد كانت أول أعمال مدرسة طليطلة ترجمة الكتب العلمية . والسبب فى ذلك أن المترجمين كانوا يخافون أن يتهموا بالزيغ والالحاد إذا ما ترجموا كتب الأدب أو الفلسفة . ولذلك كانت الخطوة الأولى علمية عملية . أما الخطوة الثانية فكانت ترجمة القرآن الكريم الى اللاتينية . وخاصة فى دير كلونى Chluny وقد تمت هذه الترجمة تحت رعاية بطرس الجليل رئيس دير كلونى . ويرى فرانز روزنتال Franz Ros Enthal : أنه على الرغم من أن المرء قد يميل الى أن يدرج هذا العمل (ترجمة القرآن الكريم) فى سلك الأعمال الأدبية ، فانه جاء فى الواقع بعيدا عن ذلك ، ولكن نرد على روزنتال ونقول : أن اللاتين لم يكونوا على وعى بجمال الأسلوب القرآنى ، وأنهم لم يفهموا المعنى الحقيقى لكثير من الآيات القرآنية ، ولم يستطيعوا أن ينفذوا إلى عبقرية اللغة التى كتب بها القرآن ، وإنما كان شغلهم الشاغل هو الوصول إلى فهم التفكير =

= الديني عند المسلمين ، واستغلال ما كانوا يتصورون أنه مواطن الضعف فيه . وأرى أن هذا خير دليل على جمود العقلية اللاتينية في ذلك العصر ، وليس من شك في أن الفكر اللاتيني قبل حركة الترجمة من العربية الى اللاتينية كان فكرا باهتا ، لا يعرف كيف يربط اشتاته الموزعة ، والتي كانت خليطا غير محدد من أوغسطينية وديونسيوسية ـ والأوغسطينية هي أفلاطونية مختلطة بعناصر نصرانية ـ ولكن قوة الأوغسطينية بدأت تتلاشى شيئا فشيئا ، ومن هنا كان لا بد من التلاحم بين الأوغسطينية والديونسيوسية ـ وهي أيضا مزيجا من الأفلاطونية الحديثة والغنوصية الشرقية ـ فأبقى الجميع وعلى رأسهم « ريموند دي كاستيل » أنه لا توجد وحدة أو ترابط بين هذه النظريات ، أما الوحدة بين المذاهب والنظريات ، وهي ضالة اللاتين المنشودة ، فكانت موجودة في الفلسفة الاسلامية ، ومن ثم وجه المترجمون إلى ترجمة الكتب الفلسفية ، وبذلك خطت طليطلة الخطوة الكبرى التي قررت مصير الفلسفة المدرسية .

ولما ولى عرش أسبانيا الملك الفونس العاشر الذي كان يطلق عليه الفونس ملك قشتالة راعي الأدب والعلم ، وكان يلقب دائما بالحكيم Elsadio في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي (١٢٥٢ – ١٢٨٤ م) دفع بمدرسة طليطلة إلى الأمام وعمل على حمايتها ورعاية علمائها ، وتشجيعهم على الاستمرار في جهودهم العلمية ، ولقد دفع كبير أساقفة طليطلة « سوفيتيه » بحركة الترجمة دفعة قوية ، إذ ترجمت بفضله كتب أرسطو ، الفارابي ، وابن سينا ، والغزالي .

وإذا تحدثنا عن أشهر مترجمي مدرسة طليطلة ، فأننا نرى بوضوح بعض الشخصيات أمثال « دومينجو جنذالث » Domingo Gonzalez وباللاتينية يعرف باسم جنديسالني أو جاندسالينوس Gundisalinus - Gundisiavi في حين نرى الغموض يحيط بشخصيتين أخريين هما : يوحنا الأسباني =

العرب من الفلكيين وعلماء الرياضيات والفلاسفة والأطباء ، وعلماء النبات

= وأبن داود . ويرى سيد مؤرخى العصور الوسطى « جيلسون » ونحن في هذا نذهب معه : اننا هنا أمام شخصيتين مختلفين (لأن الكثير يعتقد أن يوحنا بن داود ويوحنا الأسبانى شخصية واحدة ، ونستطيع أن نميز بين جيلين من مترجمى طليطلة . ويمثل كل جيل مرحلة معينة .

المرحلة الأولى : ويمثلها يوحنا بن داود — والذى يعتقد البعض خطأ أنه يوحنا الأسبانى الذى لم يكن إلا فلكيا — والذى ترجم بعض كتب ابن معشر والفرغانى . وجنديسالفى : الذى يعد أنشط المترجمين فى مدرسة طليطلة . وكان من كبار رجالى الكنيسة الجامعة فى طليطلة ، إذ كان اسقفاً لـ « سقوفيه segovia » وميزة هذا الفريق : أنه كان يترجم الكتب العربية الفلسفية : مثل ترجمات لبعض مؤلفات ابن سينا وكتب النفس والطبيعة وما بعد الطبيعة لأرسطو وبعض آثار الغزالى مثل مقاصد الفلاسفة ، بالإضافة إلى أنهم كانوا يصنعون من تأليفهم كتبا فلسفية لعل من أهمها كتاب جنديسالفى خلود النفس de immortalitate animae وهو مبنى على آراء ابن سينا وابن جبرول . وكتاب خلق الدنيا وهو من أقدم الأعمال الفلسفية الأوروبية المصطبغة بالصبغة الاسلامية والمتأثرة بالأفلاطونية الحديثة . وكتاب فروع الفلسفة الذى نحى فيه منحى الفارابى . وهذه الميزة تذكرنا بفريق من مترجمى العالم الاسلامى من قبل وكان مترجما وكان فيلسوفا شارحا فى الآن عينة — وهو فريق تراجمة السريان فى العالم الاسلامى ، أمثال يحيى بن عدى وحنين ابن اسحق .

أما الجيل الثانى لحركة الترجمة فيمثلها جيرارد الكريمونى gerardo di cremona وهو من أعظم المترجمين فى هذا العصر ، ويعتبره البعض الأب الحقيقى لحركة الاستعراب فى أوروبا ، وقد ولد فى إيطاليا ، واستقر فى طليطلة وقضى بها معظم حياته ، حيث درس اللغة العربية واتقنها ورحل إلى صقلية لدراسة الفلك وخاصة كتاب المجسطى الذى ترجمه الى =

إذ لم تبدأ الترجمة مباشرة من النصوص اليونانية إلا فى أواخر القرن الثالث

= اللاتينيه حوالى عام ١١٧٥ م ومن أهم ترجماته : ترجمة كتب أرسطو: السماء والعالم ، التحليلات الثانية رسالة العقل للكندى ، احصاء العلوم للفارابى . ومن الكتب العلمية القانون فى الطب لابن سينا ، والمنصورى للرازى وغيرهم.

ومع أن مدرسة طليطلة لم تبلغ عظمة بغداد — كما يقول المؤلف — فى نقل العلوم وترجمتها ، فقد كان لها دورها البارز فى إذاعة الثقافة الإسلامية فى البيئات العلمية الأوروبية . انظر : ابن الرشد والرشدية ، مرجع سابق ص ٢١٤ ، تاريخ الفكر الأندلسى مرجع سابق ص ٤٦٦ ، انتقال التراث الاسلامى : البحراوى مرجع سابق ص ١٥٧ وأيضا :

- Gilson, E : history of chrstian philsophy in the middleagos New York 1955. p. 235.
- Thery, G ; Toledo, 1944 p. 163.

ثانيا — بلرمو : Palermo

أما المركز الثانى من مراكز الترجمة اللاتينية فهو بلرمو عاصمة صقلية ، ولقد ازدهرت حركة الترجمة فيها بتوجيه من الطبقة الحاكمة نفسها ، وأول من دفع حركة الترجمة والحركة العلمية هو الملك روجر Rogo (١٠٩٦ — ١١٥٤ م فلقد دفع روجر العالم اللاتينى إلى ترجمة آثار معينة ، ومضت بلرمو وإلى درجة ما « سرقوسه » فى عهده تستورد الكتب اليونانية والعربية فاستحضر على وجه الخصوص كتب الجغرافيا ، أما فى أيام خلفائه وليام الأول والثانى فلقد ازدهرت حركة الترجمة ازدهارا لم يسبق له مثيل . وكان من أشهر المترجمين « ارستبس » وزير وليسام الأول ، الذى ترجم الآثار العلوية لأرسطو ، وفيدون ومينون لأفلاطون . ومنهم « يوحنا البلرمى » الذى ترجم بصريات بطليموس عن العربية وبعض كتب اقليدس ، وكليلة ودمنة ... الخ . ولقد نشطت حركة الترجمة فى بلرمو فى القرن الثالث عشر الميلادى تحت رعاية الامبراطور فردريك الثانى (١١٩٤ — ١٢٥٠ م) =

عشر الميلادى ... ولقد امتدت الشهرة العلمية للمسلمين إلى كل الجهات

= والذى كان متأثراً تأثيراً عميقاً بالحضارة الإسلامية ، فطبع بها عصره ، وكان شديد الإعجاب بالفلاسفة العرب والذين كان يقرأ مؤلفاتهم بالعربية والتى كان يجيدها — وخاصة مؤلفات ابن رشد إذ كان يرى فى أفكاره المصباح الوضاء الذى ينير له سبيل الحياة ، ولعله حصل على كتب ابن رشد جميعها ودعا إليها أساطين الترجمة فى عصره ، وكان له عدة مترجمين تولى نشر أعمالهم بين الجامعات الأوربية المختلفة ، وفى مقدمتهم « مايكل سكوت » الذى يصفه البعض بانه شخصية شبه أسطورية ، ولقد كان يعمل منجما فى بلاط فردريك. تعلم فى أسبانيا ، وألم إلماما جيدا باللغة العربية ، واتقن العربية والعبرية ، وساهم فى حركة الترجمة بطليطلة ، وأتم فيها كثير من ترجماته التى نال بها شأنا كثيرا عند رجوعه إلى صقلية ، ويبدو أنه كان يعرف كيف ينظم أعمال الترجمة فكان يوزع العمل على عدد من التلاميذ والأعوان ثم يتابع نشاطهم ويراجع أعمالهم ، ولقد ترجم بعض كتب ابن سينا وتلخيص كتاب الحيوان لأرسطو مع شرح ابن سينا عليه ، وأهم ترجماته كتب أرسطو من العربية وشرح العرب عليها وخاصة شروح ابن رشد عليها ، إذ أنه أول من أدخل ابن رشد إلى اللاتين .

وكان لفردريك مترجم آخر هو تيودوس Theodorus ويحتمل أن يكون من أهل انطاكيا ، وكان قد ترجم له كتاب فى البزة Bayszora (الصيد بواسطة الصقور) فكانت هذه الترجمة هى الأساس الذى اعتمد عليه فردريك فى تأليف كتابه المعروف باسم فن الصيد بواسطة الصقور .

وكان من الملوك الذين دفعوا حركة الترجمة قدما ملك صقلية ونابولى « كارل انجو » (١٢٢٦ — ١٢٨٥ م) الذى اهتم بترجمة المؤلفات العربية إلى اللاتينية وكان له فريق من التراجمة أمثال « فرج بن سالم Faragut » وموسى السالونى .

=

وجذبت الصفوة من مفكرى الغرب إلى الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا ، فمثلا قضى واحد من أبرز رجال القرن الثانى عشر الميلادى وهو « جربرت دورياك » الذى أصبح أول بابا فرنسى باسم سلفستر الثانى[1] ثلاث سنوات

= وقد قام فراغوت - اليهودى - بترجمة كتاب الحاوى فى الطب للرازى. وكان كتاب الحاوى أحد الكتب التسعة التى تتكون منها مكتبة الكلية الطبية فى باريس عام ١٣٩٥ م . انظر : العرب فى صقلية : إحسان عباس ص ٥٨ ، دار المعارف بمصر ١٩٥٩ ، وكذلك : فضل العرب على أوروبا : زيجريد هونكه ترجمة فؤاد حسنين على ص ٣٢٦ ، دار المعارف بمصر ، مرجع سابق ص ٢٤٧ وأيضا :

Dona'd, Campell : Aralrion medicire and its influens on the midd'e ages, London 1926 p. 68 (المترجم)

(١) فى الواقع أن جربرت دورياك البابا الفيلسوف الفرنسى الذى اعتلى عرش البابوية فيما بعد باسم سلفستر الثانى لم يكن من رجال القرن الثانى عشر وإنما هو فى الواقع من رجال القرن العاشر الميلادى فلقد أدرك هذا البابا حاجات عصره ، وأيقن أن العالم اللاتينى فى حاجة إلى علم وفكر المسلمين ، فذهب إلى أسبانيا ، وتعلم اللغة العربية وبرع فى المنطق والطبيعة والفلك والرياضيات ، وعاد إلى بلاده وأسس مدرسة فى « ريمز » ليعلم أهل بلده ما تعلمه من العرب فى أسبانيا ، وربما يكون جربرت قد قام أيضا - بالخطوة الأولى فى هذا الطريق بأن نقل معه عددا من كتب المسلمين والتى أستطاع الحصول عليها أثناء رحلته فى أسبانيا وقام بترجمتها . ومن الثابت أنه كان من أوائل من أيقنوا بعظمة الحضارة الإسلامية وبوجوب نقلها . ولا يخفى علينا أن الحركة التى بدأها جربرت إنما آتت ثمارها ونتج عنها حركة ترجمة واسعة بين الرهبان، الذين انفصلوا شيئا فشيئا عن تقاليد الكنيسة ، وأقتنعوا بأن طلب العلم وحب المعرفة وضرورة العلوم الدنيوية إنما هى مطالب ينبغى أن يسعى إليها =

فى طليلة يدرس مع العلماء المسلمين الرياضيات والفلك والكيمياء وغيرها من من الموضوعات كما درس العديد من المطارنة الفرنسيين والانجليز [١] والألمان والإيطاليون ، وغيرهم من رجال العلم مددا مختلفة فى الجامعات الإسلامية فى أسبانيا .

= اللاتين ، ولقد أحدثت هذه الأفكار صدعا هائلا فى التفكير اللاتينى . ولقد أسس فولبير — تلميذ جربرت — مدرسة شارتر عام ٩٩٠ م ، كان من تقاليد هذه المدرسة دراسة العلوم الإسلامية . ونجد مثلا أن نسخة لاتينية من حكم ابقراط كانت تستخدم فى التدريس فى هذه المدرسة . ولقد افترض المؤرخون عند محاولة تفسيرهم لوجود مثل هذه الترجمة ، نفوذا ثقافيا عربيا مبكرا ، لسبب بسيط وهو أن مثل هذه الترجمة كانت عن أصل عربى ، وذلك لجهل اللاتين بالأصول اليونانية لأعمال اليونان القدماء فى ذلك الوقت . انظر : الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي : جلال مظهر ص ١٢٩ ط ١٩٦٩ وكذلك : فضل الحضارة الإسلامية على العالم : زكريا هاشم : ص ٣٤٩ نهضه مصر ١٩٧٠ (المترجم)

(١) لقد أشار برنارد لويس إلى صلات الانجليز بالحضارة الإسلامية بقوله : ان الغربيين على العموم والانجليز على الخصوص قد اتصلوا بالشرق قبل الحروب الصليبية بفترة طويلة ، وقد وطدت هذه الحروب صلات الغرب بالشرق لا عن طريق تبادل الثقافة ولكن عن طريق احتكاك الشعوب احتكاكا يشوبه روح العداوة والحرب ، ومع ذلك تعرف كل منهما على الآخر، واهتدى إلى عيوبه ومحاسنه . ويرى برنارد لويس أن بعض الانجليز — وخاصة الجماعات التجارية — تعلموا العربية فى أسبانيا ، وعرفوا علوم وآداب وكان لهم أثرهم فى باقى الأوروبيين ممن لا يعرفون العربية وعن طريق هؤلاء نقل الكثير من ضروب الثقافة والحضارة الإسلامية إلى الانجليز . ولقد انتقل الفكر الإسلامى إلى أكسفورد — كما يقول — جيلسون — عن طريق قيام =

ويدين جيرارد الكريمونى الذى ترجم مؤلف ارسطو فى الطبيعة من النسخ العربية ، وكيانوس النافرى وأديلارد البانى ، والبرت ودانيل المورلين وميشيل سكوت ، وهرمان الدلمانى ، وكثيرون غيرهم جميعهم يدينون بعلومهم الإسلامية للمسلمين (١) .

أما فى جهة فرنسا فان قربها من أسبانيا كان عاملا كبيرا فى تأثير الحضارة الإسلامية فى جنوب فرنسا ، ولكن الأهم من ذلك كان استيلاء المسلمين المباشر لسبتمانيا (المنطقة الشاسعة الواقعة بين البحر المتوسط وجبال البرانس ونهر الرايق) لمدة تزيد عن نصف قرن.

= بعض الانجليز بنقل التعليم العربى إلى بلدهم ومن أشهرهم اديلارد الباثى، ودانيل المورلى ، والفريد السرشلى . ويذهب ـ دى فيلار ـ de villarde. Monmeret إلى أنه منذ القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى فصاعدا كثرت الترجمات لكتب العرب ، وأصبحت مدينة هرفورد Hareford فى القرن الحادى عشر الميلادى مركزا انجليزيا للدراسات الإسلامية ; Gilson . History of chirstian philosophy. ilind p. 625 (المترجم)

(١) لعل من أهمهم : اديلارد الباثى ، وهو انجليزى الأصل عربى الثقافة ولد فى مدينة بات بانجلترا ، تعلم فى باريس وذهب إلى أسبانيا ، ودرس الفكر العربى وتثقف بالحضارة الإسلامية ، وقد كان من أوائل الانجليز الذين تعرفوا عليها ، ويبدو أنه تعلم العربية فى طليطلة ولم يقف عند حد التحصيل ، بل أخذ يترجم إلى اللاتينية الكثير من الكتب منها مبادىء اقليدس، والجداول الفلكية للخوارزمي التى تعرف باسم السندهند الصغيرة ، أما كتبه المؤلفة فلعل من أهمها (الذاتية والاختلاف) وقد انعكس أثر الفلسفة الإسلامية فى كتابه هذا . انظر : انتقال التراث الإسلامى إلى أوروبا ـ عبد القادر البحراوى . مرجع سابق ص ٢٠٥ (المترجم)

ويكتب « فوريل » : يرجع الفضل لذلك الإقليم ، فى ادخال صناعات جديدة إلى جنوب فرنسا وكذلك بعض الآلات ذات التطبيق العام ، مثل الآلات المستخدمة فى سحب الماء من الآبار لرى الحدائق والمزارع وهى جميعها من أصل عربى .

ولم ينته تأثير العرب بطردهم !! ، بل ظلت العلاقات بين فرنسا والعرب متصلة ، كما يلاحظ « رينود » بحق إن تأثيرهم ولا بد قد ازداد منذ ذلك الوقت ، فعلى عكس العلاقات القديمة ، قامت العلاقات الجديدة على روابط التجارة والصداقة .

ومن الظلم أن لا نذكر هنا أهمية الدور الذى قام به يهود أسبانيا واكوتيانيا !! كوسطاء بين الحضارة الإسلامية والثقافة النصرانية [١] ، فان التأثير الدينى للمسلمين الذى كان واضحا جدا على كل علماء اللاهوت فى العصور الوسطى ، جاء أساسا من الترجمات العبرية .

كما أن روح الإنصاف يقتضينا أن نذكر الدين الكبير الذى تدين به اليهود للحضارة الإسلامية . فقد ذهب « ارنست رينان » إلى حد القول : إن كل الثقافة اليهودية فى العصور الوسطى ، إنما كانت انعكاسا للثقافة الإسلامية التى كانت أقرب إلى روحهم من الحضارة النصرانية . ويذكر «ماسينيون» أن أول قواعد اللغة العبريه ، قد جمعها يهود من قريش من قواعد اللغة العربية . حتى اليوم فى أرض فلسطين يتعلمون اللغة العبرية بواسطة قواعد مبنية على قواعد اللغة العربية .

---

(١) انظر : أثر النقلة اليهودية فى تشويه التراث الإسلامي ابان العصور الوسطى — للمترجم — (تحت الطبع) .

ولقد شاهدت العصور الوسطى ميلاد مؤلفات كاملة فى اللاهوت والفلسفة كتبها يهود باللغة العربية ، ولا يسعنا إلا ذكر أسماء القليلين من الفلاسفة والكتاب كأمثلة للعلماء مثل : ابن ميمون ، وسعديه الفيومي ، ويهودا حلفي وباهيا بن باكودا ، وابن جبرول . . . وغيرهم كثيرون .

الباب الثالث[1]

إسهام المسلمين فى الحضارة

---

(١) التبويب من وضع المترجم والعنوان من وضع المؤلف.

مقـــدمـــة (١)

في عجالة مثل هذه لا مجال لتعداد الطرق التي أسهمت بها الثقافة الإسلامية في حضارة الجنس البشرى ، فلا خيـار لنـا في الاقتصار على ذكر القليـل من أهم الاكتشافات التي تدين بالفضل فيهـا للابحاث الإسلامية ، وذكر القـلة من العلماء والفلاسفة والكتاب الذين أضافوا بريقا للعلوم والآداب وكان لهم تأثير ملحوظ في الفكر الغربي (٢) .

---

(١) من وضع المترجم .

(٢) لا أوافق المؤلف على الاختصار في هذا الموضوع الرئيسى وأن فيه إخلالا واضحا ، وهذا ما سنحاول جاهدين باذن الله تلافيه (المترجم)

الفصل الأول [1]

إسهام المسلمين فى ميدان العلوم الطبيعية والرياضية [2]

(١) ، (٢) من وضع المترجم .

أولا : الفلك :

كانت أول علوم استرعت انتباه المسلمين هي الفلك[1] والرياضيات، فان اتجاههم الفكرى، وبلا شك وأسلوبهم العملى، أديا بهم إلى تحويل التفاتهم قبل كل شيء إلى العلوم الدقيقة .

ولم تجتذب علوم الفلك أنتباه رجال العلم فحسب ، بل أن كثيرين من الخلفاء سواء فى الشرق أو فى أسبانيا ، بل وبعض سلاطين السلاجقة والخانات خلفاء جنكيز خان وتيمور لنك أصبحوا شغوفين بها ، وقامت المراصد على نحو ما فى كل مركز من المراكز الهامة من الدولة[2] الاسلامية وقد اكتسبت مراصد بغداد والقاهرة وقرطبة، وطليطلة وسمرقند شهرة عن جدارة[3] .

---

(١) إن اهتمام علماء المسلمين بعلم الفلك له علاقة قوية بالعبادات وذلك باختلاف مواعيد الصلاة من بلد لآخر مما دعاهم إلى معرفة حركة الشمس فى فلك الفروع ، وكذلك معرفتهم للقبلة ودخول شهر رمضان والأشهر الحرم ، ومعرفة صلاتى الكسوف والخسوف (المترجم)

(٢) فى الأصل : الامبراطورية .

(٣) لقد بنى الخليفه المأمون مرصدا كبيرا فى حى الشماسية ببغداد وآخر على قمة جبل قاسيون بدمشق ، وبنى الحاكم بأمر الله الفاطمى الدينورى مرصدا على جبل المقطم بالقاهره ، وكان هناك مرصد الدينورى فى أصفهان، ومرصد فى انطاكيا ، ومرصد ابن الشاطر فى الشام ومرصد المراغة الذى أشرف على بنائه نصير الدين الطوسى، ومرصد اولوغ بك فى سمرقند وغيرها. انظر: أثر علماء العرب والمسلمين فى الفلك: على الدفاع ص ١٦ ط ١٩٨٥ (المترجم)

ويرجع العهد بمدرسة بغداد للفلك إلى عهد المنصور [١] ثانى الخلفاء العباسيين (٧٥٤ – ٧٧٥ م / ١٣٦ – ١٥٨ هـ) الذى كان هو نفسه فلكيا ، وقد صدر فى عهد خلفائه هارون الرشيد والمأمون بعض المؤلفات الهامة [٢] ، فروجعت النظريات القديمة وصوب العديد من أخطاء بطليموس وصححت جداول اليونان . وإلى مدرسة بغداد يرجع الفضل فى اكتشاف حركة نقطة الأوج فى مدار الشمس ، وتقدير انحراف المدار البيضاوى ونقصانه المتوالى والدراسة التفصيلية لتقدير مدة السنة . وقد لاحظ علماء بغداد عدم انتظام أقصى ارتفاع للقمر ، واكتشفوا التباين القمرى الثالث ، ويعرف باسم « التغيير » وراقبوا كلف « بقع » الشمس ، ودرسوا الكسوف والخسوف ، وظهور المذنبات وغيرها من الظواهر الفلكية ، وشكوا فى ثبات الأرض ، فكانوا السابقين الأوائل لكوبرنيقوس وكبلر .

---

(١) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عباس (١٣٦ – ١٥٨ هـ) وفى أيامه فتحت الملتان والقندهار من أرض السند ، وأمر بالزيادة فى المسجد الحرام من جهة باب الندوة . وحارب الروندية وهم قوم من أهل خراسان يقولون بالتناسخ . وفى سنة خمس وأربعين ومائة بنى مدينة بغداد وانتقل إليها من مدينة الهاشمية التى بناها أخوه السفاح . انظر : مآثر الأنافة فى معالم الخلافة . مصدر سابق ص ١٧٧ (المترجم)

(٢) الحق الذى لا جدال فيه : أن أول كتاب قام علماء المسلمين بترجمته هو كتاب مفتاح النجوم المنسوب إلى هرمس الحكيم ، وذلك فى أواخر الدولة الأموية من اليونانية إلى العربية ، ولكن العباسيين ابتداء من أبى جعفر المنصور قد ارتقوا بالفلك رقيا عظيما ووصلوا فيه إلى أبحاث جديرة بالاهتمام وتطبيقات عملية فى عصر المأمون . انظر : الإسلام فى حضارته ونظمه د . أنور الرفاعى ص ١٩ ط ١٩٨٢ . (المترجم)

وقد سجلت نتائج هذه المراقبات التى قامت بها مدرسة بغداد فى « الجداول المتحققة » ويعتبر يحيى بن منصور المؤلف الرئيسى . ومن أشهر علماء هـذه المدرسة نذكر : « البتانى »[1] الذى يعتبره « لالاند » واحدا من أشهر عشرين فلكيا فى العالم .

---

[1]) هو أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان البتانى Al- Pateyni ولد فى بتان عام ٢٣٥ هـ (٨٥٠ م) وتوفى عام ٣١٧ هـ (٩٢٩) فى دمشق وهو من أكبر علماء الفلك المسلمين ، وهو أول من سخر علم المثلثات لخدمة الفلك . وللبتانى العديد من الكتب فى الفلك من بينها : الشرح المختصر لكتب بطليموس الفلكية الأربعة ، حيث خالف بطليموس فى كثير من آرائه منتقدا أياه بأسلوب علمى مجرد . ولم يكتف البتانى بالمجال النظرى فى علم الفلك بل قام كذلك بأبحاث تجريبية لعل من أهمها : أنه حسب مسبقا مواعيد كسوف الشمس وخسوف القمر بقدر كبير من الدقة ، وحسب طول السنة الشمسية (٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و ٤٦ دقيقة و ٣٢ ثانية) فلم يخطىء فى تقديره لهـا إلا بمقدار دقيقتين و ٢٢ ثانية بالمقارنة بالمقاييس الحديثة .

ومن أعمال البتانى ـ أيضا ـ أنه بين حركة نقطة الذنب للارض ، وهو أول من عمل الجداول الرياضية للظلال ، فهو إذن مؤسس حساب المثلثات ـ كما أشرنا ـ ولقد وقف الأوروبيون على انتاج البتانى الهائل ، واعترفوا على الفور بأهميته الكبرى وترجموا أعمـاله إلى اللاتينية فى القـرن الثـالث عشر الميلادى .

وهكذا يحق لنا أن نطلق عليه اسم « بطليموس العرب » . انظر : مظاهر الثقافة الإسلامية وأثرها على الحضارة : محمد فائز ص ٤٦ ط١٩٧٨ وأيضا : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك : قدرى طوقان ص ١٠١ ط ١٩٦٢ .

(المترجم)

وأبو الوفاء (١) الذى يرتبط اسمه بأحد أساسيات علم الفلك وهو التباين القمرى الثالث ، ولقد سبق هذا الفلكى المسلم العالم الدانمركى «تيكو براهى» الذى ينسب إليه خطأ هذا الإكتشاف . سبقه بستة قرون (٢) .

ويعد العالم الشهير على بن يونس(٣) مكتشف البندول والمزولة الشمسية ،

---

(١) هو أبو الوفاء محمد بن يحيى بن العباس البوزجانى . ولد فى بوزجان بخرسان عام ٣٢٨ هـ وتوفى فى بغداد عام ٣٧٨ هـ (٩٤٠ - ٩٩٨ م) ويعد أبو الوفاء من أبرز علماء الفلك وقد نال شهرة واسعة لإقامته مرصدا فى بغداد . ولشروحه وتعليقاته على مؤلفات اقليدس وبطليموس . وجدير بالذكر أن أبا الوفاء أبدع فى جميع فروع الرياضيات ، فأدخل علم الهندسة على علم الجبر ، وابتكر حلولا جديدة للقطع المكافىء ، مما أدى إلى اكتشاف الهندسة التحليلية وعلم التفاضل والتكامل . والمعروف أن بعض علماء الغرب قد انتحل بعض اكتشافات أبى الوفاء ونسبوها لأنفسهم مثل « ريجيومونتانوس » الذى نسب لنفسه معظم نظريات أبى الوفاء فى علم حساب المثلثات وكتبها فى كتابه المشهور عند اللاتين باسم de Trianglis . وقد اهتدى أبو الوفاء إلى معادلة مثلثية توضح مواقع القمر سماها « معادلة السرعة » سرعان ما نسبها تيكو براهى بعد حوالى ستمائة عام إلى نفسه . انظر : العلوم البحتة فى العصور الوسطى . عمر رضا كحالة ص ١١٨ ط ٦٨ . وكذلك أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك : على الدفاع مرجع سابق ص ٦٨
(المترجم)

(٢) فى الأصل : سبقه بعشرة قرون ، والصحيح ما أثبتناه
(المترجم)

(٣) هو على بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المصرى ، ولد بمصر وتوفى بمصر ، نبغ فى الفلك أبان الدولة الفاطمية . ومن مجهوداته التى =

والذى أقام للخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ١٠٢٠ م / ٤١١ هـ ، مرصدا على جبـل المقطم فى القـاهرة — يعتبر مؤسس مدرسة القاهرة ، وهو الذى أشرف على اخراج الجدول الحاكمى الذى فاق فى وقته كل ما سبقـه ، وفى كل بلاد الشرق حتى الصين ، حل محل كتاب المجسطى لبطليموس ومؤلفات بغداد .

وفى نفس الوقت كتب الحسن بن الهيثم (١) أحد علماء الفلك والرياضيات

= أعطته شهرة واسعة ; رصده بكل نجاح كسوف الشمس وخسوف القمر ، فى القـاهرة عام ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ ، ٣٦٨ / ٩٧٨ م فـكانا أول كسوفين سجلا بدقة متناهية ، و بطريقة علمية بحتة . ولقد نال شهرته فى علم الفلك بتأليفه : الزيج الكبير الحاكمى . ويصف « سيديو » زيج ابن يونس : بأنه يقوم مقام المجسطى لبطليمـوس . ولقـد ترجم زيج ابن يونس إلى كثير من اللغـات الأوروبية . ولقد برع ابن يونس فى حساب المثلثات ، وهو أول من ابتكر اللوغاريتمات وليس « جون نابير John Napier » كما يدعى الغرب ، وهو أول من اخترع البندول ، وميل الساعة الشمسية ذات الثقب . وليس جاليليو ، بل أن جاليليو استفاد من تجاربه . انظر : العلوم البحتـة فى العصور الوسطى الاسلاميـة . عمر كحالة . مرجـع سابق ص ٣٥ ، وأيضا : شمس العـرب تسطع على الغرب . زيجريد هونكه مرجع سابق ص ٤١ ، وأيضا أثر علمـاء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك مرجع سابق ص ٧٢ (المترجم)

(١) هو أبو على محمد بن الحسن بن الهيثم . مهندس من أهل البصرة ، يلقب ببطليموس الثـانى ، له تصانيف فى الفلك والرياضيـات ، وهو أول من نادى باقامـة سد أسوان . من أشهر كتبه « المنـاظر » نشرت ترجمتـه إلى اللاتينية عام ١٥٧٢ م ، وكان له — كما يقول « سوتر » أثر بالغ فى تعريف اللاتين بهذا العلم . ومن كتبه أيضا — « كيفية الإظلال » . ترجم إلى الألمانية ونشر بها مختصرا ، وتهذيب المجسطى ، ومساحة الجسم المتكافىء وشرح =

فى مدرسة القاهرة ، كتب مؤلفه المشهور فى البصريات الذى كان أساس مؤلفات « روجر بيكر » و « كبلر » .

ومن الأمور الجديرة بالاعتبار أن ابن الهيثم كان أول من دافع عن اقامة سد أسوان لرفع مستوى نهر النيل .

كما أن الدراسات الفلكية لم تكن أقل من ذلك أهمية فى أسبانيا المسلمة ، فأمير قرطبة : عبد الرحمن الثانى أبدى اهتماما خاصا بهذا العلم ، وللاسف لم يصلنا من المؤلفات الفلكية فى اسبانيا الاسلامية إلا القليل جدا فجميعها تقريبا قد ضاعت فى حروب استرداد أسبانيا ، وفى أثناء الاضطهادات الدينية . ولكننا نعلم أنه فى ذلك العصر اشتهرت مراصد طليطلة وقرطبة .

وقد احتفظ التاريخ بأسماء العديدين من علماء الأندلس مثل مسلمة المجريطى(١)

= قانون اقليدس والمرايا المحرقة . انظر : أخبار الحكماء : القفطى ١١٤ ، وكذلك طبقات الأطباء ٢ / ٩٠ ودائرة المعارف الاسلامية ١ / ٢٩١ ط دار الشعب . (المترجم)

(١) هو أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطى ولد فى مجريط « مدريد الآن » عام ٣٣٨ هـ / ٩٥٠ م وتوفى بقرطبة عام ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م . رحل إلى الشرق ودرس الفلسفة والرياضة والفلك والكيمياء وضرب فيها بسهم وافر ، ثم عاد إلى قرطبة وأنشأ مدرسة عبارة عن معهد علمى يضم العلوم البحتة والتطبيقية ، وأصبح أعلم أهل زمانه فى الفلك والرياضيات وحجة يرجع إليها فى علم الفلك ، ولقد نال شهرة عظيمة فى ذلك العام لتحريره الزيج الخوارزمى واضافاته المبناة له وصرف تاريخه الفارسى إلى التاريخ الهجرى ، ووضع أوساط الكواكب لأول تاريخ الهجرة وزيادته فيه لجداول جديدة ، وله رسالة عن الاسطرلاب ترجمت إلى اللاتينية ، وكذلك تعليق المجسطى =

وعمر ابن خلدون [1] ، وابن رشد وغيرهم . ولكننا نستطيع أن نتبين عظمة هذه الأعمال المفقودة للعلماء المسلمين من تعليقات المؤلفين النصارى الكثيرين الذين استفادوا من هؤلاء العلماء .

وعليه فيبدو أن الجداول الفلكية لألفونس العاشر والمعروفة بالجداول الألفونسية قد تأثرت إلى مدى بعيد بالدراسات العربية . إن لم تكن قد بنيت أساسا عليها .

وإن الحروب والمنازعات الداخلية التى اجتاحت آسيا فى القرن الحادى عشر الميلادى (الخامس الهجرى) قد أثرت أيما تأثير على الحياة الفكرية

= لبطليموس ترجم إلى اللاتينية وله كتاب « رتبه الحكم » فى الكيمياء ، والمطلع على هذا الكتاب يدرك أن واضعه كان كيميائيا ، ممتازا يعتمد على التجارب العملية والملاحظة الدقيقة . انظر : العلوم والحضارة فى الإسلام : سيد حسين نصر ص ٧٩ ط ١٩٦٩ وجابر بن حيان وخلفائه : محمد فياض ص ٨٤ ط ١٩٦٩ (المترجم)

ـ وظهر فى الأندلس ـ أيضا ـ ابن أبى طلحة ، وجابر بن الأفلح وله تسعة كتب فى الفلك ، ونور الدين وأبو أسحق البطروجى الاشبيلى وله كتاب الهيئة الذى يشتمل على مذهب حركات الفلك الجديد وكان ممهد لكثير من البحوث فى علم الفلك . (المترجم)

(١) عمر بن أحمد تقى الدين عبد الله أبو مسلم ، ابن خلدون الحضرمى : مهندس طبيب من حكماء الأندلس ، من أشراف اشبيلية . مولده ووفاته فيها . تتلمذ لسلمة المجريطى ، وتقدم فى علوم الفلسفة ، وعاش متشبها بالفلاسفة فى سيرته وأخلاقه وهو غير عبد الرحمن بن خلدون ـ الاعلام ٥ / ٤٠ (المترجم)

فى المجتمع الاسلامى . فبكل تأكيد قد أبطأت كثيرا من حركة تقدم الحضارة وان كانت لم توقفها . فقد استمرت مدرسة بغداد بعد سقوط الخلافة الشرقية(١) وانهيار الدولة (٢) ولم ينقطع تأثيرها الخلاق حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى وفى تلك الأثناء امتـد تأثيرها فى أواسط آسيا والهنـد والصـين .

وكان عبد الرحمن محمد بن أحمد البيرونى (٣) أحد علماء الاسلام البارزين

---

(١) يقصد الخلافة العباسية (المراجع)

(٢) فى الأصل : الامبراطورية (المترجم)

(٣) هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى . ولد فى بيرون عاصمة خوارزم عام ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م وتوفى عام ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م . ولقد كان باحثا وفيلسوفا وفلكيا ورياضيا وجغرافيا وعالما من أصحاب الثقافة الواسعة. بل أنه من أحسن علماء الاسلام ومن أكابر علماء العالم كما يقول سارتون . والبيرونى رسالة تعتبر أدق ما كتب فى الأبعاد الأرضية والسماوية فقد أورد بها حقائق عن مساحة الأرض ونسبتها للقمر . وبعدها عن الشمس ، وأبعاد المجموعة الشمسية عن الأرض وبعد الكوكب عن الآخر فى المجموعة ، وهو أول من قال أن الشمس هى مركز الكون الأرضى مخالفا كل ما كان سائدا فى عصره من آراء تتفق كلها على أن الأرض هى مركز الكون . وهناك خطأ تاريخيا خطيرا شائعا يقع فيه البعض إذ يعتقدون أن نيوتن هو أول من فكر فى قانون الجاذبية ، مع العلم أن أول من فكر فيها هو البيرونى . ولقد اشتهر البيرونى أيضا فى علم الطبيعة ولا سيما الحركية وتوازن المواد السائلة ، كما اشتهر فى حساب المثلثات والتاريخ فكان موسوعة علمية يمشى على قدميه . انظر : محاضرات فى تاريخ الاسلام فؤاد سيزكين ص ١٣٨ مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود (الاسلامية) . (المترجم)

شكل حلقة الربط بين معارف مدرسة بغداد والعلماء الهنود [١] . وقد عاش في بلاط محمود الغزنوى ومن أعماله الكثيرة فى مختلف المواضيع نشر جداول لخطوط الطول والعرض لأهم مدن العالم . كما كان السلطان السلجوقى ملك شاه (١٠٧٢ – ١٠٩٢ م) ملكا مستنيرا كان يضم بين أصدقائه عددا كثيرا من العلماء والأدباء ، وكان يهوى الفلك ، وقد أدت أرصاده إلى تصويب التقويم قبل التصويب الجريجورى بنحو عشرة قرون ، وبصورة أدق ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى عبد الرحمن حسنى وعمر الخيام مؤلف الأشعار المشهورة التى خلدت اسمه .

وما بذله الحكام المغول لتشجيع العلم لا يقل عن ذلك فهولاكو الرهيب ذو الشهرة السيئة والمسئول عن تدمير بغداد . بنى فى مراغة مرصدا نموذجيا كان يديره نصير الدين الطوسى مؤلف الجداول الخانية « نسبة إلى الخان حاكم المغول » والذى قام باستكمال الأجهزة العديدة المستخدمة فى المراصد . ومن هذا الركن العلمى الجديد وجدت أعمال الفلكيين البغداديين والقاهريين طريقها إلى الصين فى عهد حكم كوبلاى خان .

وفى عهد اولج بج حفيد تيمورلنك بلغ علم الفلك عند المسلمين اوج مجده . فأولج بج الذى ارتبط اسمه واسم ابيه شاهروه

---

(١) اقد مكث البيرونى فيما بين ٤٠٨ – ٤٢٢ هـ / ١٠١٧ – ١٠٣٠ م فى بلاد الهند يدرس ويترجم ويعمل على نشر الحضارة الاسلامية . وله كتابه المشهور : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة (المترجم)

بالحركة الفنية والأدبية الكبيرة التى تطلق عليها النهضة التيمورية . كان مغرما بالفلك ويعتبر آخر ممثلى مدرسة بغداد ، فمؤلفه الذى نشر سنه ١٤٢٧م / ٨٤٣ هـ . يعطى نظرة شاملة عن علم الفلك فى عصره فقبل كبلر بقرن من الزمان ربط بين علم الفلك عند القدماء وعلم الفلك فى العصر الحديث .

ثانيا - الرياضيات :

كانت الرياضيات مثلها مثـل الفلك من أحب العلوم عند العرب ، فـكثير من القواعـد الأساسية للحساب والهنـدسة والجبر قـد اكتشفها العلماء المسلمون .

ففى الحساب نستخدم الأعداد وطريقة الحساب التى أخترعوها ، كما أن اختراع الجبر ينسب الفضل فيه إلى العرب ، وهو حق لا جدال فيه . وعندما انشأ الخليفة المـأمون دار الحـكمة [1] عين محمـد بن موسى الخوارزمى [2] رئيسا لهـا وكتابه عن الجبر عنوانه (الجبر والمقـابلة) ومن الكلمة الأولى فى هذا العنوان جاءت كلمة Algebra علم الجبر . ومن تصحيف اسم المؤلف الخوارزمى جاءت كلمة لوغاريتم . وقد كتب جيرارد الكريمونى فى ترجمته لهذا الكتاب بعد أن ظل حجر الزاوية فى التعليم الرياضى الذى بنـاه العرب الذين جاءوا من بعده ، ونبه معاصريهم من الغربيين الاوائل إلى روعة الحسابات الجبرية ، وفى نفس الوقت نبههم إلى حساب الكسور العشرية . قال فليب حتى

---

(١) أول من أسس دار الحكمة هو هارون الرشيد . راجع مدرسة بغداد من هذا الكتاب (المترجم)

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى . رياضى فلـكى ومؤرخ أقامه المأمون العباسى قيما على خزانة الكتب . اختصر المجسطى وسماه السند هند ، وله كتاب الجبر والمقـابلة ترجم إلى اللاتينية ثم إلى الانجليزية ، ومن كتبه أيضا « الزيج » نقل عنه المسعودى والتاريخ نقل عنه الأصفهانى. وعمل الاسطرلاب . ورسم المعمورة من البلاد . انظر دائرة المعارف الاسلامية ١٨/٩ . (المترجم)

كان الخوارزمى من أفضل العقول العلمية من المسلمين وهو بلا شك الرجل الذى كان له ابلغ الأثر فى الفكر الرياضى طوال العصور الوسطى .

وأكمل عمله ثابت بن قرة [1] مترجم المجسطى لبطليموس الذى طور الجبر وكان أول من أدرك إنطباقة على الهندسة . وكان حساب المثلثات هو فرع الرياضيات الذى اهتم به العرب أشد الاهتمام لتطبيقاته فى علم الفلك . وترجع الخطوات الأولى فى هذا العلم إلى البتانى الذى اهتدى إلى الفكرة البارعة من استبدال أوتار الأقواس التى استخدمها اليونانيون فى حساب مثلثاتهم . بنصف وتر ضعف القوس يقول م. تشارلز: أن البتانى هو أول من استخدم فى مؤلفاته جيب وجيب تمام واستعمله فى حساب المزولة وأسماه الظل الممتد وهو ما نسميه فى حساب المثلثات الحديث بالظل . وأثبت إدخال الظلال إلى علم حساب المثلثات أنه ذو أهمية بالغة فيقول م. تشارلز : إن علماء الرياضة الحديثين لم يكتشفوا هذا الكشف الهام إلا بعد خمسة قرون ، وينسب « ريجمونتانوس » ولم يدركه كوبر نيقوس إلا بعد ذلك بقرن .

---

(١) يعد أبو الحسن ثابت بن قرة الحرانى الصابئى من أشهر مترجمى عصره ، كان أول شبابه يعمل صيرفيا بحران ، ثم قدم إلى بغداد بصحبة محمد بن موسى بن شاكر ، ودرس الطب ونبغ فيه ، وكان على معرفة تامة باللغات الثلاث اليونانية والسريانية والعربية . ولقد ترجم كتبا كثيرة من علوم الأقدمين فى الرياضيات والطب والمنطق والتنجيم ، ولم يكتف بترجمة كتاب المجسطى لبطليموس بل اختصره بقصد تعليمه وتسهيل قراءته . انظر كتابنا انتقال التراث الاسلامى ــ مرجع سابق ص ٣٤ (المترجم)

وإن اختراع علامة الصفر أحدث انقلابا ثوريا فى الرياضيات ولكنه لم يستخدم فى الغرب إلا فى بداية القرن الثالث عشر الميلادى .

وأخيرا لنذكر أن نصر الدين الطوسى كان أول من شك فى قيام هندسة أقليدس . ويجب أن يعتبر الرائد القديم للوبتشفسكى وريمان اللا أقليدية .

ثالثا ـ علم الطبيعة :

يقول هيمولدت : يعتبر العرب المؤسسون الحقيقيون لعلم الطبيعة ومن سوء الحظ أن المؤلفات الرئيسية للعلماء العرب فى الطبيعة قد فقدت ، والبعض منها لا نعرفه إلا بالاسم فقط ، ولكن القليل منها ـ الذى وصلنا ـ يشهد بأهمية الدراسات التى قاموا بها ويبرر ما قاله هيمولدت .

فمؤلف الحسن بن الهيثم (١) عن البصريات مؤلف فى العلوم من الدرجة الأولى فى الأهمية ، ويقول م. تشارلز أنه كان بداية العلم الحديث فى علم الضوء « البصريات » وهو يتناول الوضع الظاهرى للصور فى المرايا ، وعن الانكسار والأحجام الظاهرة الاشياء ، واستخدام الحجرة المظلمة التى أثبتت أهميتها البالغة فى علم التصوير .

وأبحاث الحسن بن الهيثم فى المرايا الكرية ألهمت روجر بيكون ليقـوم بتجاربه ، وكذلك كبلر وغيره من علماء الغرب بصنع المجهر « الميكرسكوب » والمقرب « التلسكوب » .

وقد انتقد نظرية أقليدس وبطليموس ، وكان أول من أعطى وصفا دقيقا للعين نفسها ، وللعدسات ، والرؤيا بكلتا العينين .

كما أن علم الميكانيكا (٢) كان على مثل هذه الدرجة من التقدم عند العرب

---

(١) سبق الترجمة .

(٢) يطلق عليه العرب اسم : علم الحيل . وهو ينقسم إلى فرعين : الأول يبحث فى استخدام قوة بسيطة لجر الأثقال والثانى فى الآلات المحركة واختراع الآلات العجيبة . (المترجم)

فى تلك الحقبة من الزمن ، ونستطيع أن نرى ذلك فى الأجهزة البارعة التى أستخدمها العلماء المسلمون فى أبحاثهم والتى وجدت طريقها إلى الغرب فيما بعد .

وقد أوضح أ. برنارد - من جامعة اكسفورد - رأيه فى أن العرب هم الذين اكتشفوا البندول (٢) فى الساعات .

ومما لا شك فيه أنهم استخدموا ساعات تدار عن طريق الأثقال تختلف كلية عن الساعات المائية . وقد وصف بنيامين « من طليطلة » الذى زار المجتمعات اليهودية فى الشرق فى القرن الثانى عشر الميلادى . وصف الساعة الشهيرة فى مسجد دمشق .

وليس هناك من ينكر أن البوصلة اخترعها الصينيون ، ولكن العرب هم الذين بلغوا بها درجة الكمال وطبقوها عمليا باستخدام الإبرة المغناطيسية فى الملاحة البحرية .

---

(١) عرف المسلمون خواص المغنطيسية وفكرة الجذب من اليونان ، وأخذوا فكرة إتجاه قطرى المغناطيس من الصين . واستخدموها فى أسفارهم فى الأبرة المغناطيسية « البوصلة » فى القرن الخامس الهجرى « الحادى عشر للميلادى » ومنهم عرفها الأوروبيون .　　(المترجم)

رابعا ـ الكيمياء :

ليس من المبالغة فى شىء أن نقول : إن الكيمياء لم يكن لها وجود قبل العرب ، فمما لا شك فيه أن الاغريق [1] قد عرفوا شيئا من العناصر، ولكنهم لم يعرفوا شيئا عن أهم المواد مثل : الكحول ، وحمض الكبريتيك ، والماء الملكى وحمض النتريك. فالعرب هم الذين اكتشفوا هذه المواد مع البوتاسيوم وأملاح الأمونيا ، ونترات الفضة ، وكلوريد الزئبق وتحضير الزئبق ، فاذا أضفنا إلى ذلك حقيقة أن إحدى العمليات الأساسية فى الكيمياء هى التقطير كانت اكتشافا عربيا ، كما كانوا أول من استخدم طرق التسامى والتبلور والتجلط والتسخين فى البوتقة ، وذلك لفصل أو تركيب المواد ، فلا شك

---

(١) ينتسب علم الكيمياء لمصر ، ولا غرابة فى ذلك ففى أرضها نبت ، وبين أحضان صناعها ووراء أسوار معابدها تدرج وارتقى ، وان فنون المصريين المتقنة وصناعاتهم الدقيقة لدليل صادق على أنهم كانوا على دراية بطائفة كبيرة من المعلومات البدائية والبسيطة فى الكيمياء . وان فى كلمة بلوتارخوس المؤرخ الاغريقى خير دليل على ذلك حين يقول : يسمى المصريون بلادهم من أجل سواد تربتها الذى يشبه سواد انسان العين خيميا ، ومن هنا عرف الاغريق العلم الجديد باسم البلد القادم منها أى « خيميا » ثم تحرف بعد ذلك كيميا ثم إلى الكيمياء ، ومن المعروف أن المصريين كانوا يرمزون إلى عمليات الأكسدة والاختزال بالموت والبعث ، ومن ثم فكثير ما يصاحب الكيمياء بعض الطقوس الدينية . ومن أشهر الصناعات الكيميائية التى ابتكرها المصريون : صناعة العقاقير والتحنيط والزجاج وصناعة الألوان ، وصناعة النسيج وغيرها . انظر : تاريخ العلم والتكنولوجيا . دركستر هوز ـ الترجمة العربية ص ١٣٩ ط القاهرة (المترجم)

اننا نعترف بفضل العرب على هذا العلم .

كما أن عبارات كثيرة مما تستعمل فى علـم الكيمياء ، تعود الى أصول عربية مثل الكحول ، الانبيق ، القلوى ، الاكسير وبدون شك فان اعظم كيميائى عربى كان - جابر بن حيـان (١) (ابو موسى جابر الكوفى) الذى

(١) هو أبو موسى جابر بن حيان ، وجدير بالذكر أن المصادر العربية لا تذكر بالدقة تاريخ مولده أو وفاته فمثلا نجد اختلاف الآراء حول مولده فالبعض يقول أنه ولد سنة ١٢٠ هـ والبعض الآخر يرى أنه ولد سنة ١٠٠ هـ . ويقول عنه برثيلو أن لجابر بن حيان فى الكيمياء ما لأرسطو فى المنطق وهو أول من وضع علم الكيمياء وأسس قواعده وأرساها على الطرق العلمية الصحيحة ، وأهم كتبه فى هذا الميدان كتاب السبعين ، وكتاب تركيب الكيمياء . الذى ترجم كل منهما إلى اللاتينية ، كما نقل كتاب الاستتمام إلى عام ١٦٧٢ م وقد اشتملت كتبه على كثير من المركبات الكيماوية ، والتى كانت مجهوله قبله كماء الفضة وماء الذهب والبوتاس وملـح النشادر ... الخ . وكان جابر أول من وصف فى كتبه أعمالا أساسية كالتقطير والتصعيد والتبلور . ويذكر أيضا أن جابر بن حيان وضع قواعد التجربة فى بعض كتبه مثـل نهاية الاتقان ، ورسالة الأفران . وقد ترجما إلى اللاتينيه .

ولا شك أن كتبه الكيماوية كانت منارا اهتدى بها العلماء الذين أتوا بعده من العرب والافرنج من الذين مهدوا للثورة العلمية ، فقد اطلع عليها « جاليليو » و « فرنسيس بيكون » و « نيوتن » وكان لها أبلغ الأثر فى الكشوف العلمية التى ظهرت فى القرنين السابع والثامن عشر . وجدير بالذكر أن جابر أول من استعمل الميزان فى تجاربه بالرغم من أن أوروبا لم تستخدمه إلا بعد جابر بأكثر من ستة قرون .

اختلاف الآراء حول جابر بن حيان :

اختلفت الآراء حول ماهية جابر التاريخية فيذهب البعض إلى أن جابر =

عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى . وتعد مؤلفاته دائرة معارف علمية . وتعطينا ملخصا لعلم الكيمياء فى عصره ، وقد ترجم الكثير من مؤلفات إلى اللاتينية وأهمها هو (الاستئمام) الذى ترجم إلى الفرنسيه عام ١٦٧٢م كما كان ابو بكر الرازى فى كتابه الحاوى (١) أول من وصف تحضير حمض الكبريتيك ، والكحول الناتج عن تفطير النشويات او السكريات بعد تخميرها .

= هو أسطورة خرافية ، وأن معظم كتب الكيمياء كانت من وضع مؤلف مجهول وضعها باسم جابر وأراد لها الذيوع والانتشار فنسبها إليه ومن هؤلاء « الدوميلى » فى كتابه العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى بينما أثبت المستشرق الانجليزى « هوليارد » أستاذ الكيمياء بجامعة كلفتون بانجلترا . الوجود التاريخى الحقيقى لجابر بن حيان وأثبت أنه حقيقة لا أسطورة ، ولقد أصدر كتابا عام ١٩٢٣ م ، أوضح فيه بطلان ما ذهب إليه « الدوميلى » وغيره ، ووصل إلى حكم قاطع وهو أن جابر بن حيان أول من أبدع الكيمياء ووضعها على أسس علمية صحيحة . راجع للمترجم : الكيمياء عند العرب فى كتابه : دراسات فى الحضارة الاسلامية (المترجم)

(١) فى الواقع أن كتاب الحاوى للرازى لا يعد من كتبه الكيميائية بل من كتبه الطبية . ولقد اختلف الباحثون فى تحديد مؤلفاته فى الكيمياء . فبينما يذهب بعض الباحثين مثل القفطى فى أخبار الحكماء ص ٢٧٢ وابن أبى أصيبعة فى عيون الأبناء فى طبقات الأطباء ط مصر ١٣٤٧ هـ ١ / ٣١٦ إلى أنه الف اثنى عشر كتابا. يذهب الفريق الآخر إلى أنه الف فيها أربع عشر مقالة . انظر : ابن النديم الفهرست ص ٣٠٥ وابن جلجل فى كتابه طبقات الأطباء والحكماء ط القاهرة ١٩٥٥ ص ٧٧ . ونحن نميل إلى الرأى الأخير ، وذلك لأن الرازى نفسه فى كتابه الأسرار يؤكد على ذلك فيقول ... أن الذى =

وقد تقدم العرب فى هـذا العلـم من الابحاث النظرية الى التطبيقات العملية ،

= دعانى إلى تأليف هذا الكتاب مسألة شاب من تلاميـذى من أهل بخـارى يقال له محمد بن يونس عالم الرياضيات والعلوم الطبيعية والمنطقية من كثر خدمته لى ووجب حقه على عندما سألنى بعد فراغى من الكتب الاثنى عشر فى الصنعة ، والرد على الكندى ومحمد بين الليث ، أن أجمع شيئا من اسرار أعمال الصنعة لتكون له أماما يقتدى به ودستورا يرجع إليه فألفت كتابى هذا ... وسأتحفه بكتاب وجيز أسميه كتاب سر الأسرار. انظر: الأسرار - الرازى - تحقيق محمد تقى ط ١ طهران ١٩٦٤ ومن أشهر مؤلفاته ١ - الأسرار ٢ - سر الأسرار وقد طبع هذان الكتابان فى كتاب واحد . وينقسم كتاب الأسرار إلى ثلاثة أبواب : الباب الأول معرفة العقاقير . وفى هذا الباب نجده يقسم المواد الكيماوية ويصنفها إلى حيوانية ونباتية ومعدنية . أما الباب الثانى فيتناول الآلات . ولقد ذكر الرازى فيه ما يقرب الأربعين جهازا . ويتحدث البـاب الثالث عن معرفة التدابير والتفاعلات الكيماوية . فيشرح فيـه الرازى كيفية إجراء التجارب والتفاعلات والعمليات الكيماوية .

وثمة حقيقة أولى ينبغى أن توضع نصب العين دائما وهى : أن كتابيه هذين هما أهم كتبه فى الكيمياء ، وهذا هو ما أكده الرازى نفسه حين يقول: وكتابنا هذا - الأسرار - يكفى ويستغنى به عن جميع كتبى كلها . انظر : الأسرار - الرازى - مرجع سابق ص ١١٩ .

ولقد قام جيرارد الكريمونى بترجمة هذا الكتاب إلى اللاتينية ، ممـا كان له عظيم الأثر فى الغرب ، وبقى الكتاب المدرس المعتمد لدى اللاتين لمدة قرون . وكان روجر بيكون يعتمد عليه فى مؤلفاته - كما يقول فيليب حتى فى كتابه تاريخ العرب ص ٤٤٢ .

أما عن مؤلفاته الأخرى فى الكيمياء فهى :

(٣) كتاب التبويب (٤) كتاب رسالة خاصة (٥) كتاب =

وكان تطبيق علم الكيمياء فى الصيدلة من أهم الفوائد التى تدين بها للعلماء المسلمين فعدد كبير من المنتجات التى نستخدمها يوميا مثل : الكافور والماء المقطر ، والنزقات ، والاشربة والكثير من المراهم يعود الفضل فيها للعرب . كما يظهر مدى التقدم الذى أحدثوه فى الكيمياء الصناعية فى المهارة العظيمة التى أبداها صناعهم الفنيون فى الصباغة ومعالجة الجلود وصناعة الفولاذ .

وبين الإختراعات التى أفادت الصناعة فائدة كبرى لا بد ان تذكر البارود وصناعة الورق من القطن أو الكتان أو الأقمشة البالية . لقد ظل اختراع البارود زمنا طويلا منسوبا لروجر بيكون والبرت الكبير . وبيرنولد شوارز كما أنه ينسب للصينيين . ولكن ابحاث رينود وفاقيه قد برهنت على أنه وإن كان الصينيون قد اكتشفو نترات البوتاسيوم واستخدموه فى الالعاب النارية فان العرب — والعرب وحدهم — هم الذين اخترعو البارود كمادة متفجرة صالحة لصنع القذائف منهم الذين اخترعوا الأسلحة النارية ، وقد

= الحجر الأصفر ( ) كتاب رسائل الملوك (٧) كتاب الرد على الكندى فى رده على الصناعة (٨) فى أن صناعة الكيمياء أولى الوجوب أقرب منها إلى المنفعة (٩) كتاب منية المتمنى (١٠) كتاب الأحجار (١١) فى الرد على محمد بن الليث الرسائلى فى رده على الكيميائيين (٢) رسالة إلى الوزير أبى القاسم عبد الله (٣) كتاب فى محنة الذهب (١٤) كتاب يحتوى على اثنى عشر كتابا هى :—

(١) المدخل التعليمى (٢) المدخل البرهانى (٣) الأبيات
(٤) التدبير (٥) الحجر (٦) الأكسير (٧) شرف الصناعة
(٨) الترتيب (٩) التدابير (١٠) نكب الرموز (١١) المحبة
(١٢) الحيل (المترجم)

استخدموها عام ١٣٤٢ م فى الدفاع عن (الجيسيرس) ـ مدينة فى الاندلس عندما هاجمها الفونس الحادى عشر [1] وليس من السهل ان نبالغ فى بيان أهمية الورق ، فقد ـ فتح عصراً جديداً للحضارة ، فان نشر الكتب باسعار رخيصة وانتشار التعليم بين عامة النـاس لم يصبحا أمراً ميسوراً الا بعـد أن استبدل العرب ، الرقوق التى كان يستخدمها العالم قديمـا ، والأوراق الحريرية التى استخدمها الصينيون ، بالورق العادى الذى نعرفه اليوم .

(١) لقد عرف النصارى الأسلحة النارية ـ أيضا ـ عن طـريق الحروب الصليبية . راجع معابر انتقال الحضارة الإسلامية ص ١٦٣ (المترجم)

خامسا ـ التاريخ الطبيعى :

بعد أن بدأ العرب فى العلوم الطبيعية بالتعليق على المؤلفين اليونانيين ، عكفوا على دراسة الطبيعة نفسها وتدوين ملاحظاتهم ، وهكذا نجحوا فى إضافة ألفين نوع من الأعشاب إلى مجموعة وايسكوريدس .

وكانت الأدوية العربية ، تشتمل على العديد من النباتات والمواد الطبية مما لم يكن يعلم عنه اليونانيون شيئا . وعلى أية حال يرجع الفضل فى استخدام الراوند والتمر الهندى، والقرفة والمن وأوراق السنامكى والكافور، واستخدامهم السكر بدلا من عسل النحل أدى إلى سلسلة من التحضيرات اللذيذة والنافعة للصحة . فاستخدام السكر أمكنهم تحضير الأشربة والسوائل المسكرة ، وحفظوا الأعشاب والفواكه .

كما أن العرب هم الذين أدخلوا العطور والطيب إلى الغرب ، وخاصة الأطياب ذات الرائحة الزكية من شبه الجزيرة العربية ، وعطر الورد، وجوزة الطيب والقرنفل والفلفل . ومن بلاد الشرق الاسلامية جاءت الخضروات مثل : الطماطم والخرشوف ... الخ .

وكذلك كل أنواع الحلويات ومجموعة كبيرة من الزهور مثل : الليلاك والياسمين ، والتوليب والكاميليا .

كما أن البن مصدره الأصلى اليمن، كما أن أجمل الخيول هى الخيول العربية، وأفضل أنواع الماعز من آسيا الصغرى ، وأشهر الأغنام من مراكش

وقد تقدم العرب بالزراعة إلى أمد بعيد كما كان لهم اهتمام قوى بالجيولوجيا.

سادسا ـ الطب :

كان الطب احد العلوم الهامة التى استرعت انتباه المسلمين ، بعد الرياضيات والكيمياء . ففى القرون الأولى من التاريخ الهجرى أصبحت جزءا هاما من العلم . ولهذا ظهر بينهم عدد كبير من الأطباء والمؤلفات الطبية ولقد لعب الأطباء المسلمون دوراً حاسماً فى العلوم الطبية فى الغرب فقدظلت كتابات الرازى وابن سينا وأبو القاسم (١) وابن زهر (٢) أساس العلوم

---

(١) ولد أبو القاسم الزهراوى فى الزهراء بأسبانيا عام (٩٣٦ م وتوفى عام ١٠١٣ م) كان من أساطين الطب الاسلامى ، وذاعت شهرته فى الجراحة فى الشرق والغرب ، وكان له عدة مؤلفات فى الجراحة والطب وكانت كتاباته هى المرجع الرئيسى فى الجراحة أبان العصور الوسطى . والزهراوى هو أول من ربط الشرايين ، وأول من أدخل الحرير فى ربطه ، وهو أول من أدخل أوتار العود فيها ، وهى مصنوعة من جدار أمعاء الأغنام ، وكلا من هذين النوعين من الخيوط يستعمل الآن فى العمليات الجراحية . وأهم مؤلفاته « التعريف لمن عجز عن التأليف » وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية واللغات الأوروبية الأخرى . والغريب أن هذا الكتاب لم ينشر حتى الآن (المترجم)

(٢) هو عبد الله بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الايادى (٤٦٤ – ٥٥٧ هـ / ١٠٧٢ – ١١٦٢ م) طبيب أندلسى من أهل اشبيلية ، لم يكن فى عصره من يماثله فى صناعته ، خدم الملثمين واتصل بعبد المؤمن ابن على ، وصنف كتبا منها : « التيسير فى المداواة والتدبير » و « الأغذية » و « الجامع فى الأشربة والمعجونات » وتوفى باشبيليه ويسميه الافرنج Avnzoar الاعلام ٤ / ١٥٨ (المترجم)

الطبية فى الجامعات الاوربية على مدى قرون عديدة . فقد حازت المعاهد الطبية فى سالرينو وخاصة فى مونبيليه شهرة عالمية . وقد ظلت مجموعة المؤلفات الطبية التى نشرها الرازى (ابو بكر بن زكريا الرازى) تحت عنوان الحاوى : وكذلك كتابه الآخر بعنوان المنصورى نسبة إلى الخليفة المنصور الذى قدم اليه الكتاب ظلت هذه المجموعة لقرون عديده اكثر المؤلفات الطبية استخداما واعظمها تقديرا . وكان الحاوى أحد تسعة مجلدات تتكون منها مكتبة كلية طب باريس عام ١٣٩٥ م . وهو أول كتاب يصف بعض الحميات الطفحية مثل الجدرى والحصبة . ولقد أدخل الرازى إلى علم الصيدلة استخدام المسهلات المعتدلة ، والحجامة فى حالات الاصابة بنزف فى المخ والماء البارد فى حالات الحمى المستمرة ، وإليه ينسب الفضل فى اختراع الحزام « أو الفتيل » الذى كان يستخدمه كثيرا . وقد ترجمت مؤلفات الرازى إلى اللاتينية وطبعت مرارا وخاصة فى سنة ١٥٠٩ م فى فينيسيا وفى سنة ١٥٢٨ م ، وسنة ١٥٧٨ م فى باريس ، وآخر مرة أعيد فيها نشر مؤلفه عن الجدرى كان فى سنة ١٧٤٥ م .

وأبو على الحسين بن عبد الله المشهور باسم ابن سينا [1] كان بلا شك أعظم أطباء العرب [2] .

---

(١) ليس « ابن سينا » اسم شهرة ، وانما اسمه هو أبو الحسن بن عبد الله ابن الحسن بن على بن سينا . الملقب بالشيخ الرئيس أو بأمير الأطباء أو أرسطو العرب (المترجم)

(٢) كان من الأفضل أن يقول أعظم أطباء الاسلام لأن ابن سينا قد ولد فى قرية أفشنه على مقربة من بخارى عام ٣٧٠ هـ (المترجم)

فكتابه : القانون فى الطب [1] نشر بالعربية فى روما فى سنة ١٥٩٣ م فى خمس مجلدات هى بالترتيب عن: الفسيولوجى، الصحة العامة ، الباثولوجى، علم الأدوية ، والمواد الطبية .

وظل هذا المؤلف البارع منذ القرن الثانى عشر حتى القرن السابع عشر هو أساس الدراسات الطبية فى جميع جامعات فرنسا وإيطاليا . وفى غضون القرن الخامس عشر صدرت منه خمسة عشر طبعة باللاتينية وطبعة بالعبرية وظل يعاد طبعه مرارا حتى القرن الثامن عشر ، بل وفى بداية القرن التاسع عشر كانت تلقى عنه محاضرات فى كلية الطب فى مونبلية . وعلاوة على ذلك كتب ابن سينا كتابا عن علاجات القلب بل وكتب عددا من القصائد الطبية وقد شمل دستوره للعقاقير على ٧٦٠ عقارا .

وأعظم تقدم حققه الأطباء المسلمون كان فى ميدان الجراحة . فمنذ القرن الحادى عشر الميلادى عرفوا كيف يعالجون الكاتاركتا « المياه البيضاء » وذلك باستخدام العدسة البلورية — أو ازاحتها عن موضعها — وحصوات المثانة ، والأنزنة واستخدام المواد الكاوية ، والأحزمة والكى . كما عرفوا التخدير الذى يعد علما حديثا . فقبل العمليات المؤلمة كانوا يستخدمون عقارا من نبات اسمه الزوان ، إلى أن يفقد المريض وعيه .

وزعيم الجراحين المسلمين هو أبو القاسم خليفه بن عباس من قرطبة . يقول « هوله » العالم الفسيولوجى أن مؤلفاته ظلت مصدر الوحى لكل

---

(١) قام جيرارد الكريمونى بترجمة كتاب القانون إلى اللاتينية (المترجم)

الجراحين منذ ذلك التاريخ حتى القرن الرابع عشر وقد طبعت مؤلفات أبو القاسم فى الجراحة باللاتينية فى سنة ١٤٩٧ م .

كما أن الأندلس أخرجت عددا كبيرا من الأطباء الذين لهم شهرة كبيرة من بينهم ابن زهر وابن رشد [١] . وفضل ابن زهر الواضح هو ادخاله قوانين الظواهر العلمية إلى الطب . وأهم ما تميز به علاجه هو القوى الطبيعية التى فى الجسم البشرى لشفاء نفسه فى بعض الأمراض ، وكان أول من جمع بين دراسة الطب والجراحة والصيدلة ، وكتاباته فى الجراحة تحوى أول ذكر لجراحة الشعب وتعليمات مفصلة لعلاج الخلع والكسور فى العظام .

وقد كتب ابن رشد « أبو الوليد محمد بن رشد » الذى غطت شهرته كشارح لأرسطو على شهرته كطبيب ، كتب شرحا على كتابات جالينوس. ونحن مدينون له بمؤلفه عن الترياق وأيضا كتابا عن السموم والحميات .

وأما مؤلفه الطبى الأساسى فهو الكليات طبع لأول مرة سنه ١٤٩٠ م فى فينيسيا ثم أعيد طبعه عدة مرات فى بلاد مختلفة .

كما أن طب العيون مدين بوجوده لعلم العرب ، فكتاب على بن عيسى مذكراب لأطباء العيون . لم يفقد أهميته حتى القرن التاسع عشر . وأول عملية لازالة المياه البيضاء « الكاتاركتا » بالشفط تمت فى سنة ١٢٥٦ م بواسطة أبى المحاسن وهو أول من اخترع الإبرة المجوفة .

كما أن ابن النفيس [٢] السريانى المتوفى فى دمشق سنة ١٢٨٩ م وصف بكل

---

(١) ستأتى ترجمته فى الفلسفة (المترجم)

(٢) هو على بن أبى الحزم القرشى ، علاء الدين المقلب بابن النفيس ==

دقة الدورة الدموية قبل ثلثمائة سنة من سرفيت البرتغالى الذى ينسب إليه عادة هذا الاكتشاف .

كما أن الطبيب المصرى محيى الدين تطاوى وصف الدورة الرئوية فى إحدى محاضراته فى جامعة فزيبورج سنة ١٢٤٩ م .

أما بخصوص الصحة العامة فتكفى اشارات موجزة هنا فنحن نعلم أن الاسلام يحوى بعض القواعد الصحية الباهرة ، كالاستحمام المتكرر والامتناع عن الخمر ولحم الخنزير . كما أن الأطباء المسلمين يضعون أهمية كبرى على مراعاة القواعد الصحية فى علاجهم للامراض .

يقول جوستاف لوبون . إن المستشفيات العربية يبدو أنها كانت تبنى على أسس من وجهة النظر الصحية أفضل بكثير من مبانينا الحالية ، فكانت واسعة وبها موارد للمياه والتهوية ... وهناك أقوال مأثورة فى مدرسة سالرينو تحتوى على تعليمات قيمة فيما يتعلق بالقواعد الصحية . وجدير بالذكر أن هذه المدرسة — مدرسة سالرينو — وهى من أفضل مدارس أوروبا مدينة بشهرتها للعرب .

= (توفى سنة ٦٨٧ هـ الموافق ١٢٨٨ م) أعلم أهل عصره بالطب ، ولد بدمشق وتوفى بمصر له كتب كثيرة منها : الموجز فى الطب وبغية الطالبين وحجة المتطببين ، والشامل فى الطب ، وشرح فصول أبقراط فى الطب . ومات فى نحو الثمانين من عمره . انظر الاعلام ٤ / ٢٧٠ (المترجم)

الفصل الثانى [1]

إسهام المسلمين فى الفلسفة [2]

(1) من وضع المترجم .
(2) من وضع المؤلف

هناك الكثير مما لا يتسع له المجال لو أردنا أن نتتبع خطوات تقدم الفكر الإسلامى فى مجال الفلسفة . ونحن هنا سنتناول الخطوط العريضة من أعمال المفكرين المسلمين فيما يختص بتأثيرها على تطور الأفكار الفلسفية فى الغرب .

لقد بدأت النظريات الفلسفية مبكرا فى العالم الاسلامى وجاء وقت أجمع فيه بعض الكتاب على نكران الفلسفة الاسلامية فأكدوا أن تعاليمها تتعارض مع حرفية القرآن « الكريم » أو هى تحمل شبهة التشكيك فى العقائد الدينية حيث لم يكن لها مجال فى جو الاسلام المتشدد !! .

وإلى عهد قريب كانت كتب التاريخ المدرسية تقول : انه عندما فتح العرب مصر ، فان الخليفة عمر « رضى الله عنه » أمر بحرق مكتبة الاسكندرية [١] الشهيرة ، لانه إما كان ما بها من كتب يتفق مع العقيدة الاسلامية ، فلم يعد لها حاجة ، أو كانت تتعارض معها ، فانها مؤذية .

ولكن من له إلمام بهذا الموضوع ، لم يعد يعر مثل هذه الأقوال اهتماما أمام الأدلة التى تدحض هذا الزعم وليس أيضا من العدل أن نقصر دور الفكر الاسلامى على مجرد نقل الفلسفة اليونانية ، فان تأملات العرب الفلسفية تبدأ منذ القرن الأول الهجرى وتظهر بالارتباط مع العقيدة الاسلامية ، فوجود الله ووحدانيته وجبروته وعدله وسائر صفاته

---

(١) سبق التعليق على موقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ من حريق مكتبة الاسكندرية فى الباب الأول من هذا الكتاب (المترجم)

الإلهية ، كانت موضوعات لرسائل دقيقه متعمقة ، وتفرعت عنها طرق مختلفة الفكر . ونشأت مدارس متعارضة حول موضوع القضاء والقدر [١] والحرية الأدبية وهل الخلاص بالأعمال أو بالإيمان ، وخلافة الرسول كزعيم روحى وزمنى للمجتمع الاسلامى ، وغيرها من الموضوعات .

ومن هذه الفرق : الخوارج [٢] والمرجئة [٣] والقدرية [٤] وفى بداية

---

(١) الحديث فى القدر وتعلق أفعال العباد بمشيئة الله عز وجل من الأمور التى وجدت قبل الاسلام ، كما يحدثنا عن ذلك كتاب الله عز وجل . فقد جاء فيه أن مشركى قريش عزوا شركهم إلى مشيئة الله تعالى ، فأخبر الله عز وجل انه كذلك قال الذين من قبلهم ، قال تبارك وتعالى فى سورة النحل « وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسول إلا البلاغ المبين (٣٥) » وقال أبو هريرة — رضى الله عنه — جاء مشركوا قريش إلى الرسول ﷺ يخاصمونه فى القدر فنزلت « إن المجرمين فى ضلال وسعر » ، القمر ٤٧) . وحدث كذلك فى عهد الرسول ﷺ جدال بين الصحابة فى القدر فغضب الرسول ونهاهم عن ذلك فانتهوا . قال عبد الله بن عمرو بن العاص إن رسول الله ﷺ خرج وهم يتنازعون فى القدر هذا ينزع آية وهذا ينزع آية ، فكأنما فقىء فى وجهه حب الرمان . فقال : أبهذا أمرتم أو بهذا وكلتم ان تضربوا الكتاب بعضه ببعض ، انظروا إلى ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فاجتنبوه « حديث صحيح » رواه أحمد فى المسند رقم ٦٨٤٥ — راجع كتابنا : نشأة الفرق فى الاسلام ج ١ — الفصل الثانى (المترجم)

(١) الخوارج : سموا بذلك لخروجهم على على بن أبى طالب — رضى الله عنه — بعد التحكيم ويسمون الحرورية والشراه والنواصب . وأجمعوا على إكفار على بن أبى طالب — رضى الله عنه — وأجمعوا على كل كبيرة كفر . وهم فرق كثيرة أهمها : النجدية والعجاردة والأزارقة والأباضية . راجع =

القرن الثامن ، ظهرت المدرسة الهامة المعتزلة [١] وكل هذه المدارس سبقت ترجمة المؤلفات اليونانية التى لم تبدأ إلا فى عهد خلافة المنصور (٧٥٣ – ٧٧٤م) وهى دليل على استقلال وتطور روح الاسلام .

وبنشر دراسة المؤلفات القديمة ، أصبح الفكر الاسلامى أشد تعقيداً

= كتابنا : الخوارج وكذلك مقالات الاسلاميين : للاشعرى ١ / ١٦٧ والملل والنحل للشهرستانى (المترجم)

(٢) المرجئة سموا بذلك لأنهم أخروا العمل عن الإيمان ، وأول ما ظهر الارجاء إنما كان رد فعل لتكفير الخوارج لعلى بن أبى طالب – رضى الله عنه – وليس هو الارجاء المتعلق بالإيمان ، وأول من تكلم فى الارجاء هو الحسن بن محمد الحنفيه ت ٩٩ هـ . وتذكر كتب الفرق أن غيلان الدمشقى الذى ورث القدر عن معبد الجهنى انه كان مرجئا وغيلان هذا قتل عام ١٠٥ هـ . انظر : المصادر السابقة (المترجم)

(٣) القدرية : يتفق كتاب الملل والنحل على تسميه نفاه القدر باسم القدرية ، وأول من تكلم فى القدر رجل من أهل العراق كان نصرانيا فاسلم ثم تنصر وأخذ عنه معبد الجهنى وغيلان الدمشقى . ومن هنا نرى أن الفكرة دخيلة بين المسلمين من عنصر أجنبى دعا إليها باسم الاسلام « راجع : تاريخ الجدل » : محمد أبو زهرة ص ١٨٩ – دار الفكر (المترجم)

(١) المعتزلة : يرى بعض كتاب الفرق أن الاعتزال أول ما نشأ كان فى القدرية . والبعض يرى أن مؤسس الاعتزال هو واصل بن عطاء . والمعتزلة يتفقون على أصول هى التوحيد ، العدل ، الوعد والوعيد ، المنزلة بين المنزلتين ، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . راجع : تاريخ الجدل : المرجع السابق ص ١٩٥ وما بعدها (المترجم)

وأكثر عمقا !! (١) وفى القرن الثالث الهجرى تأسست المدرسة الفلسفية الاسلامية بزعامة الكندى (٢) وهى شديدة الارتباط بالفلسفة الهيلينية ، كما تظهر فيها الاتجاهات الأفلاطونية الحديثة ، وشرح عدد من كتاب هذه المدرسة فى محاولة التوفيق بين أفلاطون وأرسطو ، وبين الدين . ومن أشهر هؤلاء الفارابى (٣) أكبر الفلاسفة المسلمين قبل ابن سينا ونحن مدينون بمؤلفه المدينة

---

١) لا نوافق المؤلف على ذلك ، وهذا هو رأى كثير من كتاب الغرب الذين يرون أن جهود مفكرى الاسلام اقتصرت على فهم الفلسفة اليونانية والتعبير عن مشكلاتها باللغة العربية فحسب ، فقد كانت هناك إلى جانب حركة نشر المؤلفات اليونانية اتجاهات فكرية تتضمن أبحاثا فى المنطق وغيره كذلك كانت لهم أبحاثهم الجديدة فى الميدان الطبيعى والفلكى وهذه مسائل كانت تدخل فى دائرة البحث الفلسفى فى العصر القديم . راجع : مناهج البحث عند مفكرى الاسلام — د. على سامى النشار — تاريخ الفكر الفلسفى فى الاسلام — د. محمد أبو ريان (المترجم)

(٢) هو أبو يوسف يعقوب بن أسحق الكندى ، ولد بمدينة الكوفة ، من قبيلة كنده ، أى أنه من أصل عربى ، ولذلك لقب بفيلسوف العرب ، ومن المعروف عن الكندى أنه من أشهر مترجمى التراث الفلسفى اليونانى إلى اللغة العربية . ومدار فلسفة الكندى — شأنه فى ذلك شأن معاصريه — هى الرياضيات والفلسفة الطبيعية ، وكان الكندى ينزع فى آرائه الكلامية نزعة المعتزلة . أنظر : الموسوعة الفلسفية المختصرة ، الترجمة العربية ، ص ٣٤٨ (المترجم)

(٣) الفارابى فى سائر كتبه متأثر أيما تأثير بالفلسفة اليونانية ، حتى ليحسب القارىء أنه يونانى يكتب بلسان عربى ، وليس معنى ذلك أنه يحكى عن أفلاطون أو يلخص أو يردد فلسفة أرسطو دون أن يكون له رأى خاص بل له فلسفة خاصة امتزج فيها عناصر أفلاطونية وأرسطية وأفلوطينية ، =

= بل وإسلامية أيضا . يعرف الفارابى الفلسفة بأنها : « العلم بالموجودات بما هى موجودة » ونلاحظ أنه يتابع أرسطو فى تعريفه المشهور بأنها : « البحث فى الوجود بما هو موجود » وفى أقسام الفلسفة نجده يحذو حذو أرسطو فيقول : « ... وذلك أن موضوعات العلوم وموادها لا تخلو من أن تكون إما إلهية وإما طبيعية وإما منطقية وإما رياضية أو سياسية وصناعة الفلسفة هى المستنبطة لهذه والمخرجة لها حتى أنه لا يوجد شىء من موجودات العالم إلا والفلسفة فيه مدخل وعليه غرض . انظر : الجمع بين رأيى الحكيمين أفلاطون الإلهى وأرسطاليس . الفارابى ـ تحقيق البير نصرى ـ ص ٦٣ ط ٢ بيروت١٩٦٨ . النفس : لا شك فى أن للفارابى مذهبا فىالنفس يشبه إلى حد ما مذاهب اليونان ، فمن المعروف أنه لم يستطع التخلص من تأثير أرسطو فى مسائل كثيرة فى النفس لعل من أهمها خلود النفس ، يعرف الفارابى النفس البشرية بأنها « استكمال أول لجسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة » وهذا هو عين تعريف أرسطو ، على أن الفارابى يعرف النفس تعريفا هو أقرب إلى أفلاطون أذ يقول : «... تتركب من جوهرين احدهما مشكل مصور مكيف مقدر متحرك ساكن متجسد منقسم ، والثانى مباين للاول فى هذه الصفات غير مشارك له فى حقيقة الذات ، يناله العقل ، ويعرض عنه الوهم ، فقد جمعت من عالم الخلق وعالم الأمر ، لأن روحك من أمر ربك وبدنك من خلق ربك) فى هذا التعريف يؤكد الفارابى على أن النفس جوهر بسيط روحانى مباين للجسد ، وهنا نجده يتجه اتجاها واضحا من حيث طبيعة النفس . ولكن ليس معنى هذا أنه يأخذ عن أفلاطون كل شىء فهو ينكر التناسخ ، وينفى وجود النفس فى عالم الأمر قبل وجود البدن . انظر : فىالنفس والعقل لفلاسفه الاسلام والاغريق ـ محمود قاسم ص ٧١ ـ الأنجلو ١٩٥٤ بل يرى أنها تحدث وقت حدوثه ، واستعداده لقبولها ، فالنفس إذن تفيض من العقل الفعال « واهب الصور » وهى تحدث عند حدوث البدن ، وذكر أن لكل نفس بدنا خاصا بها ولا يجوز أن يكون لبدن واحد نفسان . ونلاحظ أن الفارابى هنا =

الفاضلة . وأضيف إليهم أيضا ابن باجه [١] وابن طفيل [٢] وابن رشد [٣] .

= أراد أن يوفق بين أرسطو وأفلاطون فى تعريف النفس وطبيعتها كان توفيقه مضطربا قلقا . أما عن مشكلة خلود النفس عنده فكانت موضع جدل كبير عند الفلاسفة الاسلاميين ، فبعضهم يرى أن الفارابى ينكر خلود النفس ، والبعض الآخر يقول : إنه يثبت خلودها . . والواقع أن الفارابى هو الفيلسوف المسلم الوحيد الذى عجز عن التحرر من فلسفة أرسطو فى هذه المسألة .

وعن أفكاره السياسية التى أوردها فى آراء أهل المدينة الفاضلة فانه أخذ عن اليونان ثلاثة مبادىء أساسية هى : سمو النظر على العمل ، وابتغاء السعادة فى الحياة ، والجمع بين الخير والجميل . انظر : فضائل الأمم فى نظر الفارابى — أحمد الأهوانى — مقال فى مجلة كلية الآداب الجامعة الأردنية عدد ٢ — ١٩٧٧ . ومن الملاحظ أن هذه المبادىء الثلاثة تتنافى مع مبادىء الاسلام ، فالاسلام لم يحتقر العمل اليدوى ، والاسلام فى طابعه وأساسه دين المساواة ، فالناس جميعا سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى . والمبدأ الثانى : الذى يعد غريبا عن الاسلام هو ابتغاء السعادة فى الحياة الدنيا ، فان هذا يعارض الاسلام ، فالمسلمون يطلبون رضا الله ولطفه وعنايته ورحمته وفى تحقيق ذلك سعادتهم . اما فيما يختص بالمبدأ الثالث فلم يعرف المسلمون هذا « الجمال » اليونانى الذى كان طاغيا على حياتهم وسلوكهم بل عرفوا المعانى الدينية الممهدة للخير عن طهارة وتقوى وحلال . وما نلاحظه فى كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة أن الفارابى كان فيه بعيدا عن روح الاسلام ، وليس أدل على ذلك من أن الفارابى لم يذكر اسم الجلالة « الله » بل كان يطلق عليه الموجود الأول ، والموجود متأثر فيها بارسطو ، والأول متأثر بافلاطون (المترجم)

(١) هو أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ ، ولد فى سرقسطه وتوفى فى فاس . وكانت مؤلفات ابن باجه شروحا للمذهب الأرسطى ، أقرب =

ولا أحد ينكر الآن أن علماء النصارى قد استقوا الكثير من كتاباتهم .

وكان الفكر الاسلامي في الفلسفة كما في العلوم ، همزه الوصل بين الفكر القديم والفكر الحديث يقول « جاك ريزلر » : أن من الحقائق الثابتة أن الاسلام نجح في التوحيد !! وهو ما نادى به العالم الاسلامي القديم !! والفلسفة اليونانية التى قام عليها العالم الأوروبي [١] .

= منها إلى أن تكون مذهبا فلسفيا خاصا به . ومن أهم مؤلفاته : تدبير المتوحد الذى يقول فيه أن الحياة الإنسانية التى تجىء وفقا لإملاء العقل لا تتحقق إلا إذا اعتزل الإنسان حياة المجتمع أحيانا . انظر الموسوعة الفلسفية ص ١٤ . (المترجم)

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي ، ولد في قادس بالأندلس ، ومات في مراكش وقد عاش حياة يسودها حب العلم وهو أقرب إلى هواة الفلسفة منه إلى محترفيها . ومن أهم مؤلفاته « حى بن يقظان » وهى قصة فلسفية يقسمها إلى قسمين : يصور في أولها المجتمع الإنساني بما تواضع عليه من عرف ويصور في ثانيها فردا واحدا يتركه للفترة ينمو نموا عقليا حتى يعبر فيلسوف الموسوعة الفلسفية : ص ١٨ (المترجم)

(٣) ستأتى ترجمته قريبا (المترجم)

(١) لا أوافق على الزج بمثل هذه العبارات فالاسلام لم يوفق في التوحيد وإنما جاء بعقيدة التوحيد وهى أن الله واحد أحد فرد لا شريك له « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش العظيم عما يصفون » الأنبياء ٢٢ . وعقيدة التوحيد التى جاء بها الاسلام مخالفة تماما لما نادى به العالم السامى والفلسفة اليونانية التى قامت على تعدد الآلهة ثم أرادت التوفيق بينهم فهذا هو عين الشرك الذى حذر الله منه أشد التحذير فقال تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (النساء ٤٨) — وأيضا (النساء ١١٦) (المراجع)

ويجب ألا ننسى هذه الحقيقة : وهى أنه فى الفكر الفلسفى فان فلسفة العصور الوسطى الدينية ليست إلا جزءا من الفكر الاسلامى أقل أهمية ، وأقل تأصيلا من حركة الأفكار التى جاءت بها المذاهب الدينية .

ففى الفلسفة كما فى العلوم أظهر المفكرون المسلمون ذهنا باحثا نفاذا . فكل مسائل العلل الأولى التى عرضت لفكر الانسان وكل أشكال التأملات الفلسفية من التجريبية الإيمانية إلى المذهب الباطنى مرورا بالمراحل المتوسطة من الشكية والعقلانية جميعها تظهر فى العديد من المذاهب والمدارس الفلسفية ، إذا كنا قد تناولنا دراسة الفلسفة بشىء من التفصيل فيما ذلك إلا للأثر الكبير على الفلسفة الدينية والدنيوية فى العصور الوسطى فابن سينا وابن رشد كانت لهما شهرة فى الغرب أعظم من شهرتها فى الشرق حيث اقتصرت شهرتها على الطب !![1] وأهمية ابن سينا الذى يعتبره البعض ذروة تاريخ الفكر فى العصور الوسطى ، ترجع إلى أن مؤلفاته لها طابع الموسوعات ، وسبق أن تكلمنا عن موقعه البارز فى تاريخ الطب ، وكان له فضل إنشاء مدرسه علمية استمرت عدة قرون ، فقد وضع القوانين الفلسفية وأعطاها شمولية ، وتأثير أرسطو وأفلاطون لا يغير شيئا من أصالة فكر ابن سينا ، لقد كان قادرا على منافسة أفكار أرسطو على نفس المستوى العقلى . بل وفى مرات كثيرة كان يصحح أرسطو أو يجعل آراءه تصل إلى نتائجها المنطقية ، وأهم مؤلفاته هو كتاب الشفاء ، والهداية فى الحكمة ، والإشارات والتنبيهات ، وقصة حى

---

(١) هذه العبارة فيها مبالغة كبيرة من جانب المؤلف من شهرة ابن سينا فى الشرق لا تقل عن شهرته فى الغرب . (المترجم)

ابن يقظان... الخ . وأول ترجمة لمؤلفات ابن سينا ترجع إلى القرن الثانى عشر الميلادى [١] .

وأثر ابن سينا فى الفلسفة الغربية كبير. تقول مس جويشون إنه لا يوجد فيلسوف من فلاسفة العصور الوسطى إلا ويفحص لمعرفة مدى تأثره بفلسفة ابن سينا، وكلما كان الفحص دقيقا كلما ظهر أن ابن سينا لم يكن مصدرا من المصادر التى استقوا فيها بحرية ، بل أحد العوامل الرئيسية التى شكلت أفكارهم [٢] .

---

(١) من أهم كتب الشيخ الرئيس ابن سينا : كتاب الشفاء الذى تحول اسمه فى أفواه رجال القرون الوسطى تحولا كبيرا فسمى الكفاية The sufficiency - suifficientia فلقد انصبت عليه الترجمات ، وقام بترجمة المنطق تراجمة مدرسة طليطلة « جنديسالفى / ابن داود » وآخر طبعة كانت فى البندقية عام ١٥٠٨ م ، أما الأجزاء الخاصة بالطبيعة والسماء والعالم والكون والفساد والانفعالات فترجمها دى برجس J. de Burges أما كتاب النفس ضمن الشفاء فيؤكد « تيرى » أن مترجمه هو الفريق الأول من مدرسة طليطلة « جنديسالفى / ابن داود » انظر Thery : Toledo ibid p. 8 ونلاحظ أن اللاتين لم يتعرضوا للرياضيات - فربما لم يقع تحت أيديهم . أما عن الكتاب الأكثر شهرة بعد الشفاء فهو « القانون » فى الطب الذى أصبح وكأنه انجيل الطب فى العصور الوسطى ، وظل زهاء ستة قرون المرجع العالمى فى الطب ، واستخدم أساساً للتعليم فى جامعات فرنسا وإيطاليا ، وظل يدرس فى جامعتى مونبليه حتى أوائل القرن الثامن عشر الميلادى . انظر : حضارة العرب - جوستاف لوبون - ترجمة عادل زعيتر ، ص ١٦٣ - ط القاهرة ١٩٦٩ (المترجم)

(٢) جدير بالذكر أن بدايات التأثير السينوى فى الفكر اللاتينى كان فى طبقة المترجمين وخاصة مترجمى مدرسة طليطلة وإذا أردنا أن نتحدث عن التأثير السينوى فى أوروبا العصور الوسطى فاننا نستطيع أن نميز =

واعتبره (البير الكبير) مثالا ، مع أنه حارب الفلسفة العربية كـكل . كما أن

== ثلاث تيارات :

(أ) السينوية الطليطلية : وخير ممثليها جنديسالفي ويعد من أكبر مؤسسي السينوية الطليطلية ، ومؤلفاته كلها تنم عن المذهب الأوغسطيني ـ السينوى فمثلا كتابه (خلود النفس) عبارة عن رسالة وجيزة اقتبس مسائلها وأفكارها من مصادر مختلفة أغلبها من أقوال ابن سينا في طبيعيات الشفاء ، ولقد تناول فيها البراهين السينوية على وجود النفس ثم قرر ما قرره من قبل ابن سينا من أنها جوهر روحاني خالد كما تقول جويشون Goichon : La philosophie de Avicanne etson influence en Europe Medieval par s 2 end Edn 1951 p. 35.

أما عن كتابه (خلق العالم) فان هذا الكتاب لم يعقب مقلدا السينوية بعد . كما تقـول جريشون Joichan ; La phiosophie, ibid p. 87 ومن المتعارف عليه أن يوحنا الطليطلي (أسقف طليطلة) من كبار ممثلي السينوية الطليطلية ، بل إنه بتعبير جيلسون : أول من أرسى دعائم التأثير السينوى في الفلسفة المدرسية النصرانية Gilson : History, ibid p. 336 ويتضح الأثر السينوى في بعض كتاباته ولعل من أهمها كتاب النفس ، وكتاب النفس هذا سينوى ، إذ هو مجموعة مستخرجة من كتب ابن سينا .

(ب) السينوية الباريسية : ان بدء دخول السينوية إلى أوروبا كان عبر الحدود الأسبانية الفرنسية ، فلقد كان أول إشعاع للسينوية خارج طليطلة ، كان في جامعـة باريس ، وخير ممثل لهـا وليم الاوفرني فنظـريته في النفس نضجت وتطورت على سينويه ، مع اختلافها عن هذه النظرية عن آرائهـا في العقل الفعال . وكذلك (البير الكبير) حيث تأثر بالشيخ الرئيس في نظـرية النفس ونظرية المعرفة . وأيضا الـكسندر الهـاليسي (الكسندر أوف ويلز) فهو يتابـع أرسطو وتلميذه ابن سينا في آراء كـثيرة . ==

« ارنست رينان » فى كتابه ابن رشد والرشدية لم يتردد فى تأكيد أن القديس الكبير توما الأكوينى ، كان مدينا بكل شيء لابن رشد وتوما نفسه الذى تأثر كثير بابن رشد لم يكن غريبا عن فلسفة ابن سينا ، والبابا يوحنا الحادى والعشرين قبل اعتلائه كرسى البابوية قال بنظرية المعرفة استعاض فيها بابن سينا عن أرسطو ، كما أن وليم الاوفرينى والكسندر أوف ويلز . وغيرهم كثيرون استقوا من نفس هذه المصادر بل إن ابن رشد نجح نجاحا محسودا فى الغرب أعظم من نجاح ابن سينا . فشروحه لأرسطو جعلته يكتسب شهرة أكثر من سائر المؤلفين المسلمين . ويظن أن لمايكل سكوت الفضل فى تقديم ابن رشد للعالم اللاتينى (١) فحوالى منتصف القرن الثالث عشر كانت قد ترجمت إلى اللاتينية كل المؤلفات الهامة لفلاسفة الأندلس . وكان من حظ ابن رشد الغريب أن يلعب - ربما رغما عنه - دورا مزدوجا فى تاريخ

= (ج) السينوية الانجليزية : خير مثال على تأثير السينوية فى الانجليز هو روجر بيكون الابن الروحى للعرب ، ولقد تأثر بابن سينا فى نظريته فى النفس والمذهب المشهور والمستور عند ابن سينا ومن ممثلى السينوية الانجليزية روبرت جروستت وجان بيكهام وروجر مارستون (المترجم)

(١) لا أوافق المؤلف على ذلك . فان أول من أدخل فلسفة ابن رشد إلى أوروبا العصور الوسطى هم اليهود وخاصة عن طريق موسى بن ميمون (٥٢٩ - ٦٠١ هـ / ١١٣٥ - ١٢٠٤ م) الذى عمل على نقل فلسفة ابن رشد إلى النصارى ، وبعد سيجر البارابنتى (١٢٣٥ - ١٢٨٢ م) أول من أدخل الفلسفة الرشديه إلى جامعة باريس ، وبعد « بترودابانو » أول من عمل على دخول الفلسفة الرشدية إلى بادوا . انظر ابن رشد والرشدية : رينان ترجمة عادل زعيتر ص ١٨٨ ط ١٩٦١ ، وكذلك ابن رشد فيلسوف قرطبة - ماجد فخرى ص ٩٨ ط بيروت ١٩٦٠ (المترجم)

فلسفة العصور الوسطى فالبعض يقدسونه كالشارح الكبير لأرسطو والحجة العالمية كما هاجمه البعض باعتباره قمة الضلال والفجور !!

وأن كان نادرا ما يقتبس منه « البير الكبير » ولكن أمر القديس توما الأكويني معقد نوعا ما . فيقول ارنست رينان : « أن القديس توما هو ألد الاعداء لتعاليم ابن رشد وفى نفس الوقت - نستطيع أن نقول بدون الخوض فى الوقوع فى متناقض - انه كان التلميذ الأول للشارح العظيم - أن البرت الكبير مدين بكل شيء لابن رشد. والبابا الموقر (أسين بالاسيوس) الذى عكف على دراسة أثر ابن رشد وتلاميذه اللاتين ، يتناول الكثير من اقوال فيلسوف قرطبة ، ويقارنها بأقوال الدكتور الملائكى ، ويتضح التشابه فى افكارها فى استخدام تعبيرات متشابهة [1] فلا يبقى مجال للشك

---

(١) ان التشابه بين ابن رشد وتوما الأكوينى كبير بحيث يستحق البحث والتعقيب فعلى سبيل المثال . أن التوفيق بين الفلسفة والدين أمر لم يوليه اهتماما عظيما كلاهما . فمثلا نجد للمؤلفين كليهما « ابن رشد وتوما » اقتبسات من القرآن الكريم أو الانجيل بعد البراهين الفلسفية على العقيدة ، وكلاهما يبدأ بعرض كلامه بحجج تدعو للشك أو للتناقض فى الظاهر . كما اننا نجد البرهان نفسه على وجود الله من الحركة . وعلى العناية الإلهية للعالم ، وفرضية كليهما ان وحدة الله هى من وحدة العالم وهما متفقان فى فرضها بان علينا استخدام طريقة التنزيه لأجل التوصل إلى إدراك الله ، وكلاهما يخلطها بطريقة القياس والتشبية . أنظر : -

Gauthier, L : ibn Rochd (Avereoes) . Presses universitaires de France 1948 q 194.

وكذلك ابن رشد الفيلسوف المفترى عليه - محمود قاسم ص ٤ - الطبعة الأولى - الأنجلو د ت (المترجم)

فى أثر الفيلسوف المسلم على اعظم اللاهوتيين الكاثوليك . وقد بلغ أثر ابن رشد الذروة فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادى . فكانت شروحاته تستخدم فى جامعات الغرب . كمراجع افضل من كتابات ارسطو ولقد قرر (جون أوف باسونثورب) ت سنة ١٣٤٦ بانجلترا ان تكون كتابات ابن رشد منهجا لمدرسته ، كما ان (بول اوف فينيسيا) المتوفى سنة ١٤٢٩ ميلادية مثال لامع للرهبنه . الاوغسطينية ، يعترف جهراً بعاطفه مع نظريات ابن رشد الاساسيه . وعندما نظم لويس الحادى عشر تعليم الفلسفة) جعل دراسة ارسطو بشرح ابن رشد ، دراسة اجباريه ، كما ان مسيو (ميركانو) الذى عينه (فرنسوا الاول) مدرساً فى كوليج دى فرانس ، قام بتدريسها فى كوليج دى فرانس من سنة ١٥٤٣م حتى ١٥٦٧م . ولكن جامعة (بادوا) هى التى أصبحت قلعة الارسطاطيليه العربية فى ذلك العصر . فقد كان ابن رشد هو فارسها الذى لايبارى ، وظل الحال كذلك حتى القرن السابع عشر الميلادى .

وقد سارت « بولونيا » و « فيرارا » وفينيسا » على درب روما الفلسفى ما هى وإن كانت قد لاقت تعضيدا حماسيا فقد كان هناك أيضا رد الفعل الشديد ضد الأرسطاطيلية العربية ومفسرها الرئيسى ، وقد نشأ هذا بالطبع من جانب اللاهوت القديم . وانتهى أخيرا إلى أصحاب الفلسفة الإنسانية فى عصر النهضة .

وفى عام ١٢٤٠ ميلادية . أمر وليم الاوفرنى أسقف باريس بسحب كل الكتابات التى لها طابع عربى . وقد أيد « انيان تمبيرا » أسقف باريس سنة ١٢٦٩ ميلادية هذا الحكم ، ولكن كل هذه الخطوات لم تكن كافية للقضاء على الحركة ، بل ظلت الفلسفة العربية تتقدم بل أن « سيجر البارابنتى » الذى

يعتبر مؤسس الحركة التى نسميها الرشدية اللاتينية(١) . أو الرشدية النصرانية كان تعلم فى جامعة باريس ما بين سنة ١٢١٦ — ١٢٢٨ ميلادية ، وفى سنة ١٢٢٧م (٢) أمر البابا باعادة فحص الأمر ، مما نتج عنه تحريم ٢١٩ من الكتابات الخطيرة — من وجهة نظر الكنيسة — وطرد سيجر من الجامعه واستدعى للمثول امام محكمة التفتيش وحكم عليه بالسجن مدى الحياة ، ولكن رغم كل ذلك لاتزال فلسفة ابن رشد صامدة ، وتكسب أرضا جديدة .

ولم تكن الفلسفة الانسانية أقل من ذلك عداء لابن سينا ، فقد كان فى نظرهم ان الشرح يمثل الفلسفة العربية والروح العربيه ، وحيث أن المصادر الاصلية القديمة بين أيديهم ، أصبح العرب موضوع هجوم عنيف ، وبدون

---

(١) تكونت عدة حركات توضح تأثير الفلسفة الرشدية ، كان من أهمها :

أولا — الرشدية اليهودية : وخير ممثليها موسى بن ميمون ، ليفى بن جيرسون مسى الاريوتى ، واليادل مديغو .

ثانيا — الرشدية اللاتينية : وتنقسم إلى :

أ — الرشدية الباريسية : ويمثلها سيجر البارابنتى وتوما الأكوينى .

ب — الرشدية البادوية : ويمثلها بترو دابانو ، جان دوجاندون بول البندقى ، جاتيانو اليتنائى (المترجم)

(٢) لقد أخطأ المؤلف فى التواريخ السابقة ، ذلك أن سيجر البارابنتى (١٢٣٥ — ١٢٨٢ م) وأمر البابا هذا كان عام ١٢٧٧ ميلادية ; ذلك أن سيجر (الأستاذ بجامعة باريس) أخذ ينشر آراء أرسطو وابن رشد ، وأنكر أسقف باريس بعض آراء ابن رشد ، وصبت عليه الكنيسة اللعنة ، وطرد من الجامعة عام ١٢٦٦ إذ أعتبر زنديقا رشديا ، ثم دعى إلى المحاكمة فحكم عليه بالسجن المؤبد ولكن سكرتيره قتله عام ١٢٨٢ م (المترجم)

اعتبار للخدمات الجليلة التى أداها العرب للفلسفة الإنسانية بضمانهم لاستمرارية المعرفة اليونانية ، وجهت إليهم الإتهامات بافساد الأذهان ، وتخريب الحضارة القديمة . فقد كتب (بترارك) الذى كان يعتبر بحق ــ أحد أوائل المحدثين ــ إلى صديقه (جون دوندى) : اننى أكره هذا الجنس ، إنه من الصعب جدا اقناعى بأن خيرا يمكن أن يصدر عن العرب .

ولكن بالرغم من هذا الهجوم المزدوج من اللاهوتيين وفلاسفة الإنسانية ، وبالرغم من قرارات مجامع لايتران وترنت واضطهادات محاكم التفتيش ، صمدت فلسفة ابن رشد حتى القرن السابع عشر الميلادى .

لقد كانت حركة الأفكار التى أثارها ابن رشد واسعة المدى والنقد الذى وجه إليها كان متناقضا لأبعد مدى حتى يصبح من اللازم بذل جهد كبير يفهم حقيقة شخصية الفيلسوف .

وكثيرا ما تبدو الفجوة كبيرة بين الفهم الأصيل للشارح (ابن رشد) وبين الأفكار التى نسبت إليه ، فلسفة ابن رشد شىء والرشدية شىء آخر ، ويجب التمييز بينهما بكل وضوح .

ولا تكفى نظرية عابرة لدراسة هذا الموضوع ، ولكننا نرجو أن يكون واضحا مما سبق أن ابن رشد ساد على الفلسفة الغربية . لعدة قرون وأن تعاليمه ــ حتى وإن كانت قد حرفت أو شوهت من المريدين المتحمسين أو بالخصوم الأشداء ــ فقد أحدثت ثورة فى تفكير المستنيرين فى أوروبا وأسهمت فى تحرير الفكر الغربى من بعض القيود التى كانت تكبله .

الفصل الثالث [1]

إسهام المسلمين فى الآداب والفنون والعلوم الإنسانية [2]

(١) ، (٢) من وضع المترجم .

أولا ـ الآداب :

لعل أفضل ما بلغه الفكر الإسلامي هو إسهامه فى الفكر الفلسفى و بالمقابلة مع ذلك كان تأثيره فى الآداب أقل شأنا (١) ولو أنه لعب دورا حاسما فى بعض المجالات.

و إذا كان عند بعض شك فى ذلك فما عليهم إلا دراسة مولد الشعر الغنائى الحديث فى أوروبا ، فقد ظهر تقريبا فى وقت واحد فى أسبانيا وفرنسا فى بداية القرن الثانى عشر ثم إنتشر إلى إيطاليا وسائر أوروبا وكانت روايات الحب الأسبانية والأناشيد الرومانسية أول ما ظهر فيها ونهضة الآداب فى الأقطار الغربية تتخطى حدود التاريخ الأوروبى وتعتبر نقطة تحول فى حضارة الغرب .

ويكتب جوستاف لوبون : عن المستحيل المبالغة فى تقرير القيمة الخلاقة والملهمة لشعر بروفنسى سواء فى مجال المشاعر أو مجال الفن ، فهو الأم للشعر الحديث ، ولعله يفوق فى ذلك الشعر اللاتينى ، فبغير هذا لا يمكن تعليل

---

(١) نلاحظ أن تأثير العلوم والفلسفة فى الفكر اللاتينى كان أقوى من الآداب . وذلك لأن الفلسفة والعلوم عالمية ، أما الأدب فقومى ، لأن العلم والفلسفة نتاج العقل ، والعقل قدر مشترك بين الأفراد والأمم وأن اختلفوا فى نصيبهم منه ، والمنطق الذى يضبط هذه العلوم يقبله العقل البشرى، وقواعد العلوم تطبق على الناس جميعا ، أما الأدب فوليد العاطفة والعاطفة لا تخضع لمنطق معين . وكذلك فالأدب ظل الحياة الاجتماعية ، ولكل أمة حياة إجتماعية خاصة بها تمتاز عن غيرها . انظر : ضحى الاسلام ـ أحمد أمين ١ / ٢٨١ . (المترجم)

ظهور الشعر الايطالى أو الشعر الاسبانى أو المنشدين الألمان ، و بالأولى الشعر الرقيق فى شمـال فرنسا .

ولـكن ما هى بالضبط أغنيـة الشعـراء الفنـانين (تروبادور) ؟ [إن أهم مميزات هذا الشعر التى تميزها عن سائر اشكال قصائـد الحب التى كانت معروفة قبل ذلك ، هى المقـام المثـالى الذى اعطـوه للمرأة ، بل والتعبد فى محرابها والارتفاع بالحب إلى أقصى درجات العفاف والروحانية وهذه هى الفكرة المهيمنة على شعر (وليم التاسع) حاكم اكويتين ، وأشعار ماكابرو وجوفرى رودل وغيرهم من الشعراء الفنانين الذين جاءوا بعدهم كما لدانتى وبترارك .

ويعجب المـــرء بخصوص أصـل هــذه الرؤية للمـرأة والـتى تختلف تماما عن عادات البلد الذى ظهرت فيه فجأة نمـاذج وينابيع هذه الاشعار البروفنسية الغنائية لا يمكن ان تجدها فى المجتمعات الاوربية اليونانية ولا بين الرومان ولا بين العقلانيين وكتابات جوليان ورامون منندير بيدال ودراسات د. نيكلى لاتترك مجـال للشك فى أن كل أشعار التوربادور التى يتجلى فيها مثل هذا التغير العظيم فى أساليب وفكر ومشاعر العرب إنمـا تنبع مبـاشرة من الشعر العربى الأندلسى . وقد أوضحت الأبحـاث الأخيرة للمدرسة الأسبانية فى التاريخ ، مدى التشابه العظيم بين الشعر الأندلسى للغنائى والنماذج الأولى التى ظهرت فى نهاية القرن التاسع الميلادى . والشعر البروفنسى يبدو من المستحيـل تعليل هذا التشابه بـدون الاعتراف بتأثير أحـدهما على الآخر .

هذا الحب الافلاطونى والارتقاء ، إلى أعلى درجات السمو والولاء لإرادة امرأة واحده والخدمات التى تؤدى باسم المحبة ، والتلذذ الغريب بالمعاناة التى يسببها الحب ، كل هذه كانت الأغراض العامة للشعر العربى منـذ القـرن الثامن الميـلادى

(الثـانى الهجرى) ولقد ظهر هـذا الشعر فى الأندلس فى القـرن التـاسع فى « الأزجال » الشعبية ، وهو يمثـل أروع النتائج لاجـتماع الحضارتين العربية واليونانية .

والخطأ المأسوى للحروب الصليبية قد وجـه ضربة قاضية لهـذا الامتزاج الناشىء بين حضارتى البحـر المتوسط ، والذى كان تطـوره السوى كـفيلا باثراء البشرية فنيا وثقافيا اثراء بلا حدود .

ولكن حتى فى أثناء الحروب لم تنقطع تماما العلاقات الاقتصادية والعلمـية والفنيـة ، فاستمرت الصـلات بين الدول الاسلاميـة والامارات الأسبانية وبلاط برروفنس .

وفى هذه الصلات ، شغل ولا شك الشعر والموسيقى مكانة رفيعة ، فكانت الامارات المغربية هى مهد الشعراء والموسيقيين والراقصين الذين فتنوا قصور أوروبا الجنوبية .

فالأغانى والرقصات ، التى شكلت حلقة الربط بين الشعب الذى كان من السهل عليه أن يفهمها وأن يستمتع بها فتحت الطريق أمام الشعر الغنائى ولم يكن ينفصل فى ذلك الوقت عن الموسيقى .

والدراسات البارعة التى قام أسين بلاثيوس عن المصادر الاسلامية للكوميديا الإلهية . قد بينت تأثر دانتى بالصوفى الكبير !! محيى الدين بن عربى [1]

---

(١) هو محمد بن على بن عربى أبو بكر الطائى الأندلسى المعروف بمحيى الدين بن عمرو الملقب بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر ولد سنة ٥٦٠ هـ فى مرسيه بالأندلس ، رحل إلى المشرق وأنكر عليه أهل مصر وأهدروا دمه ، حبس ، ثم أخرج ، واستقر ومات فى دمشق سنة ٦٣٨ هـ ، وهو من كبار =

والشاعر الضرير أبي العلاء المعرى [١] الذى لا يضارع شعره الرائع ، والذى يتضمن فلسفة شديدة التشاؤم والتشكك ، والقصة الفلسفية حي بن يقظان التى كتبها ابن طفيل ، والتى ترجمها إلى اللاتينية أدوارد بوكوك الأصغر سنة ١٦٧١ م (١٠٨٢ ﻫ) ومنها إلى أغلب اللغات الأوروبية هى التى ألهمت دانيال ديفو أن يكتب روبنسون كروزو على نهجها .

كما أن ابن حزم [٢] من أعظم العقول فى أسبانيا الاسلامية ، كان له تأثير باق على آداب الغرب ، فكانت مؤلفاته شديدة الخصوبة كتب عددا من الأساطير والحكايات والروايات الأخلاقية التى انتشرت منذ القرن الثالث عشر

= الصوفية ، القائلين بوحدة الوجود له أربعمائة كتاب ورسالة منها الفتوحات المكية فصوص الحكم . انظر : الاعلام : الزركلى ٧ / ١٧٠ وأيضا : ابن عربى ـ اسين بالاثيوس ـ ترجمة عبد الرحمن بدوى ـ ط الأنجلو ـ القاهرة ١٩٦٥ . (المترجم)

(١) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرب (٣٦٣ - ٤٤٩ ﻫ / ٩٧٣ - ١٠٥٧ م) شاعر وفيلسوف ، ولد ومات فى معرة النعمان ـ أصيب بالعمى فى السنة الرابعة من عمره ، ترجم الكثير من شعره إلى غير العربية . ديوان حكمته وفلسفته ثلاثة أقسام : « لزوم ما لا يلزم - اللزوميات » وسقط الزند وضوء السقط . الاعلام ١ / ٥٧ . (المترجم)

(٢) على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى ـ عالم الأندلس فى عصره ـ وأحد أئمة الاسلام . ولد بقرطبة وتوفى بلبلة « مدينة فى الأندلس » ألف نحو ٤٠٠ مجلد تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة أشهر مصنفاته : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، المحلى جمهرة الأنساب ، الناسخ والمنسوخ ـ حجة الوداع طوق الحمامة . انظر الاعلام ٤ / ٢٥٤ . (المترجم)

الميلادى فى كل أنحاء أوروبا ، وترجمت أساطيره إلى الأسبانية ، بواسطة الفونس الحكيم ملك قشتالة ، ثم إلى اللاتينية والعبرية والفرنسية . وقد اعترف لافونتين بأنه كان أحد المصادر التى أخذ عنها كما أن بوكاشيو وشوسر وكثيرون من كتاب القصص الألمان تأثروا به بدرجات مختلفة . كما أنه من اللازم أن تؤكد التأثير الواسع المدى الذى كان لألف ليلة وليلة على عدد كبير من قراء الغرب . ولا يسعنا فى مجرى هذا الحديث ، إلا أن نذكر ان القصائد الرائعة لنتسوب وبرونتج بهما أثار واضحة للالهام العربى .

كما أن (دون كيشوت) لسرفانتس تحمل إلى حد بعيد الروح العربية ، ولقد كان مؤلف هذا العمل الخالد سجيناً فى الجزائر لفترة من الزمن . وأدعى أن أصل كتابه كتبه فى العربية !!

ويمكن للمرء أن يستخلص ما استخلصه فيليب حتى بالاجمال أن أعظم ما أسهم به العرب فى آداب العصور الوسطى فى اوربا هو التأثير على الشكل، وإليهم يرجع الفضل فى أن الخيال الغربى استطاع أن يحرر نفسه من القواعد الصادقة التى ألزمته بها التقاليد .

ولا نستطيع ختام هذا الفصل عن الآداب الإسلامية دون ان نشير إلى الشعر الفارسى فهو من أعظم مفاخرها ، حقا أنه لم يؤثر تأثيراً مباشراً فى تطوير الفكر الغربى ولا من تنقية الاحاسيس الغربية ولكنه بألوانه العجيبة وأسلوبه الغنائى الدقيق ، وبروعته وبراعته وسمو جماله استحوذ على اعجاب العالم كله ، كما ان انتشار هذا الشعر كان خارقا للعادة . فقد تحدث سادة الآداب الأوروبية — وليس صغارهم فحسب — عن الشعراء الفارسيين بكل

حماسة ، فقد قال جوته وهو يتحدث مع تشارلز فون مولر : على مدى خمسة قرون لم يكن لدى الفرس سوى سبعة شعراء يعترفون بهم ، ولكن كان من بين من رفضوهم من تفضلني انا . وهؤلاء السبعة المشاهير في الأدب الفارسي هم : الفردوسى ، وهو أشهر شعراء الملاحم ، وجـلال الدين الرومي (١) وهو أحد كبار شعراء المتصوفين في العالم إن لم يكن أعظمهم ، والسعـدى وهو شاعر الفضيلة من شيراز الذى ترتبط أسمـه بالفضيلة والشعـر الغنـائي وحافظ الشاعر الرقيق للحب والربيع والخمر ، والذى كان له تأثير بالغ على (جوته) والنظامى الشاعر الرومانتيكى والجامى الذى قال عنه (انيه) أنه يجمع ببراعة فائقة بين السمو الادبي عند السعدى ، والتصوف الرائع لجلال الدين الرومي ، والتوافق اللطيف عند حافظ .

وكان الحافـظ أول شاعر فارسى يحظى بالشهرة في اوربا ، ويرجـع الفضل في ذلك إلى المستشرق الالمـاني فون هامر الذى كان له فضل تقديم سيد الغزليات (شعر غنائي من ديوان حافظ) إلى القراء في الغرب ، وقدظهرت الترجمة الكاملة لديوان شعر حافظ في (١٢١٨ - ١٨١٣م / ١٢٢٧ - ١٢٢٩هـ) .

---

(١) جـلال الدين الرومي (٦٠٤ - ٦٧٢هـ / ١٢٠٧ - ١٢٧٣م) هـو محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخى عالم بفقه الحنفية والخـلاف وأنواع العلوم . ثم متصوف الدنيا والتصنيف فشغل بالرياضة وسمـاع الموسيقى ونظم الأشعار وإنشادها وتعلم كـتاب المثنوى ، وهو منظومة صوفية فلسفية في ١٥٧٠٠ بيت في ستة أجزاء ، كـتب مقدمتها بالعربية ، وتخللتها أبيات عربية من نظمـه ، واستمر يتكاثر مريدوه وتابعـو طريقته إلى أن توفي بقونيـة الاعلام ٧ / ٣٠ . (المترجم)

والحق يقال أنه لم يجذب إلا إنتباه دوائر محدودة من رجال الأدب ولكن حدث شيء آخر عندما نشر جوته ديوانه سنة ١٨١٩ م وتعرف أن هذا الكتاب حمل هذه المقدمة : إذا دعونا الكلمة زوجة والنفس زوجا ، فمن يتدح حافظ قد شهد زواج هذين الاثنين ... لقد عبر الشرق البحر المتوسط عبورا عجيبا ، ومن يعرف ويحب حافظ هو وحده الذى يستطيع فهم أنشودة كالدرون .

ولقد ترجم ديوان حافظ جزئيا أو كليا إلى اللغات الأوروبية ولكن شهرة حافظ وشهرة غيره من الشعراء فى الشرق والغرب قد بزتهـا الشهرة العالمية التى حازها عمر الخيام ، فهو بغير شك أحد الشعراء الذين ذاع صيتهم فى نصف الكرة .

ويوجد على الأقل إثنا عشرة ترجمة فى الفرنسية للرباعيات كما يوجد الكثير من الترجمات الانجليزية والألمانية والروسية والإيطالية والدانمركية والمجرية والتركية . وقد ترجمت إلى لغات أخرى بما فيها لغة البـاسك « أواسط شرق أوروبا » والعبرية والرومانية .

ونستطيع أن نقول أن هناك تقدير بالغ لهذا الشاعر فى الأقطار الأنجلو سكسونية ، ونادى عمر الخيام الذى تأسس فى لدن عام ١٨٠٢ م كان بداية لإنشاء الكثير من النوادى المشابهة .

ثانياً - الجغرافيا والتاريخ :

من أبرز سمات العرب المغامرة وحب الترحال . هكذا يقول رينان . وهذه الصفة ساعدتهم على ترك طابعهم العميق على تاريخ الحضارة . فحتى عصر الرحلات الملاحية الرائعة التى قام بها الأسبانيون والبرتغاليون فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر لم يسهم شعب كما أسهم العرب فى توسيع مفهوم الإنسان فى الكون وإعطائه فكرة دقيقة عن الكوكب الذى يعيش عليه وهو أساس كل تقدم حقيقى .

فمنذ القرن التاسع الميلادى (الثالث الهجرى) وهم أول من جاب هذه المناطق البعيدة أن يزور الصين وأفريقيا وأقصى الشمال حيث تقع الآن إتحاد الجمهوريات السوفيتية وقصة رحلة شخص اسمه سليمان التى كتبها أبو زيد من من سنة ٨٥١ - ٨٨٠ م [١] كانت أول كتاب ينشر عن الصين — والمسعودى [٢] الذى اعترف به العلماء فى كل العالم فى نهاية القرن السابع عشر ، ارتحل فى منتصف القرن العاشر فى جميع جهات الدولة الإسلامية [٣]

---

(١) اسم الكتاب : رحلة سليمان التاجر إلى بلاد الصين ، وكتاب سليمان هذا هو أول مؤلف نشر فى بلاد الغرب عن الصين ، وقد ترجم من العربيه إلى عدة لغات . (المترجم)

( ) على بن الحسين بن على ، أبو الحسن المسعودى ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م ، مؤرخ ، رحالة بحاثه من أهل بغداد ، أقام بمصر وتوفى فيها . وكان معتزليا . من تصانيفه « مروج الذهب » و « أخبار الزمان ومن أباده الحدثان » التبينة والاشراف » وأخبار الخوارج وغيرها من المؤلفات . الاعلام ٢٧٧/٤ (المترجم)

(٣) فى الأصل : امبراطورية الخلفاء . (المترجم)

من أقصاها إلى أقصاها . وعلاوة على ذلك زار سيلان ومدغشقر وزنجبار . وفي مؤلفه الشهير « مروج الذهب » يصف طبيعة الأقطار التي رآها — جبالها وبحارها وممالكها وأسرها المالكة وكذلك معتقدات وعادات سكانها .

وأبو الريحان البيروني والأدريسي (١) وابن بطوطة (٢) كانوا من الرحالة والعلماء وقد ألفوا كتبا جغرافية ثمينة ، وفتحوا أمام الغرب آفاقا جديدة . فالأدريسي الذي ولد عام ١٠٩٩ م وعاش في بلاط ملك بالرمو « صقلية » كتب له كتابا جغرافيا . يقول سيديلوت على مدى ثلثمائة وخمسين عاما ، ظل رسامو الخرائط الأوروبيون لا يفعلون شيئا سوى إعادة نسخ هذا الكتاب مع بعض التغيرات الطفيفة . ولنذكر بصفة خاصة خريطة العالم الشاملة التي رسمها أولج بيج حفيد تيمور لنك . مصنف الجداول الفلكية الشهيرة باسمه . فعندما قام بعملها استند أساسا على كتابات نصير الدين الطوسي وملاحظات الكوشاجي الذي قام بناء على أوامره برحلة إلى الصين وحقق قياس درجة خطوط الطول وحجم الكرة الأرضية .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن أدريس ولد في المغرب وعاش فيما بين ٤٩٣ — ٥٦٠ هـ وتثقف في قرطبة وطاف البلاد وتزل على الملك روجر الثاني حاكم صقلية تألف له كتابا في الجغرافيا سماه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » وضع له كرة أرضية من صفائح الفضة . (المترجم)

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الطنجي أبو عبد الله ، ابن بطوطة (٧٠٣ — ٧٧٩ هـ / ١٣٠٤ — ١٣٧٧م) رحالة ، مؤرخ ، ولد ونشأ في طنجة، طاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس وغيرها . ومن أهم مؤلفاته « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » ترجمت إلى اللاتينية ثم إلى اللغات الأوروبية — الاعلام ٢٣٥/٩ (المترجم)

ولنقل كلمة عن الخرائط البحرية التى وضعها العرب ، فيكتب سيديلوت :
لقد رأى فاسكو دى جاما واحدة منها فى سنة ١٤٩٧ م تخص رجل يسمى سالم – كان من بربر شمال افريقيا – أخذها معه كهدية إلى مليندا . كما أن خريطة أخرى وضعها عربى اسمه « عمر » ساعدت البوكيرك على عبور بحر عمان والخليج العربى [1] بل لعل مؤلفات العلماء المسلمين ساعدت فى اكتشاف أمريكا . فنى خطاب كتبه كريستوفر كولمبس من هايتى بتاريخ أكتوبر ١٤٩٨ م . يذكر فيها اسم ابن رشد كأحد المؤلفين الذين دفعوه إلى الحدس بوجود العالم الجديد .

وعدد الكتاب المسلمين الذين تركوا لنا مؤلفات فى التاريخ كبيرة جدا . ففى القاموس التاريخى للكاتب المسمى حاجى خليفه يوجد أسماء عدة آلاف من المؤرخين المشهورين .

ويرجع أقدم الكتابات عن التاريخ إلى عصر الأمويين ولعل أحد الكتاب الأوائل كان أبو مناف الذى يقتبس منه المسعودى وقد مات سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧ م) ويعيب علماء الغرب المؤرخين المسلمين الاهتمام الشديد بتسجيل الأحداث وإهمالهم الأفكار العامة والكشف عن الحلقات التى تربط أحداث التاريخ . ولعل لهذا اللوم ما يبرره ولكن جزئين فقط وبكل يقين لم يهتم أغلب المؤرخين المسلمين بوضع النظريات الكثيرة التى شغلت فكر علماء الغرب والتى أصبحت سمة علم التاريخ فقد اعتبروا أنفسهم بالأحرى – جامعى معلومات ومسجلى بيانات للاجيال اللاحقة وأحجموا عن أن يقيموا من أنفسهم مفسرين أو قضاة للاحداث الماضية .

---

(١) فى الاصل : الخليج الفارسى . (المترجم)

هذا المفهوم للتاريخ يختلف بغير شك عن مفهوم الغرب ولكن هل هذا أمر حسن أم رديء حول هذا يدور النقاش وعلى أية حال فان المعترف به أن المؤلف الذي يأخذ على عاتقه نقل المعلومات التي سلمت له بدون تعليق أو نقد يبدي اخلاصا وحيدة أكثر من المؤلفين الذين يمدونا بوثائق قد نقحوها وصححوها أو زيفوها حسب وجهات نظرهم .

ولكننا ونحن نقول ذلك ، فان من الظلم أن نتهم المؤرخين المسلمين بضيق الفكر وعدم القدرة على النقد ، فانهم على العكس من ذلك قد اكتسبوا شهرة باتساع نظرتهم وإثارة الإهتمام بمسائل كان التاريخ الغربي يعتبرها خارج اختصاصه وهكذا شغل أدب التاريخ مكانا واسعا في مؤلفاتهم .

ولسنا في حاجة القول بأننا لا نستطيع أن نذكر هنا إلا أسماء القليلين من هؤلاء المؤرخين المسلمين على سبيل المثال فقط فقد اكتسب الطبري [١] « أبو جعفر محمد بن جرير » والمولود سنة ٨٣٩ م (٢٢٤ ﻫ) والمتوفى سنة ٩٢٢ م (٣١٠ ﻫ) مكانة كمؤرخ ورجل قانون وعالم ديني ، شهرة لا يكاد يدانيه فيه أحد من الشرق . ويعتبره المسعودي أعظم أسلافه ويقول . إن حوليات أبي جعفر محمد جرير الطبري ، تبرز بين كل المؤلفات التاريخية

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد بن خالد كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك ، وكان ثقة في نقله وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها ، وكان من الأئمة المجتهدين له مصنفات منها التفسير الكبير المعروف والتاريخ الشهير . توفي بغداد سنة ٣١٠ ﻫ وكانت ولادته سنة ٢٢٤ ﻫ . انظر وفيات الأعيان ٤ / ١٩١ — شذرات الذهب ٣ / ٢٦٠ . (المترجم)

يبراعتها بل وتفوقها جميعها ، فالصدق في رواية المعلومات والعادات والحقائق العلمية فيها تجعلها نافعة ومثقفة للذهن .

وكتابه « الحوليات » يعتبر الكتاب الأساسي في التاريخ العربي فقيمته فيما يتعلق بتاريخ أصول الإسلام ، يجل عنه التقدير ، فهو يتضمن معلومات ثمينة لا تحصى عن اللغة والعوائد والشخصيات في ذلك العصر ويعود تاريخ هذه الحوليات إلى سنة ٩١٤ م .

أما المسعودي « حسن علي المسعودي » المولود في بغداد في نهاية القرن التاسع والمتوفى في القاهرة سنة ٩٥٦ م ، فيبز الجميع ، فهو مثل الطبري ، في اتساع وتنوع معارفه ، وقد وجه انتباها إلى العديد من المسائل المختلفة ، فمن بين ما ندين به له ، دراساته المفصلة لتاريخ الأدب . فيقول رينان نستطيع أن نقول إن المسعودي ، توقعا منه بأساليب النقد الحديث أدرك مدى ما يستطيع الأدب أن يلقيه من ضوء على التاريخ السياسي والاجتماعي لأي عصر .

وقد جمع المسعودي في تاريخه في كتابه الذي يحمل عنوان أخبار الزمان والذي يتكون من أكثر من عشرين مجلدا ، وللاسف لم تصلنا من مؤلفات هذا المؤرخ الشهير سوى مروج الذهب ، وكتاب التعليم .

وكان ابن مسكويه [1] المؤرخ البارز المتوفى سنة ١٠٣٠م أحد الأساتذه

---

(١) هو أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه أبو علي ت ٢٤١ هـ/ ١٠٣٠ م مؤرخ بحاث أصله من الري وسكن أصفهان . توفي بها . أشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق وأولع بالتاريخ والأدب والإنشاء له كتبا نافعة منها : =

المسلمين فى علم الأخلاق ، وتكفى كتاباته لإثبات الظلم وضيق الفكر عند من ينكرون على المؤرخين المسلمين روح النقد . فهذا العقل الأصيل الذى يتميز بالاستقلال والشك فى كل شىء فى ابن مسكويه هو الذى كتب الكتاب الهام (تجـارب الأمم) يعالج فيه تاريخ فارس قديمـا والعرب إلى زمانـه وباتجـاه عقلانى يظهر حياداً معتدلا للاسلام فهو لا يذكر تاريخ النبى ويلاحظ أن توسع العرب كان قديرا جد (ﷺ ، وقد اتجه إلى أمور الفلسفة السياسية والمسائل الاقتصادية ، ومعالج فى يسر ، الأمور الإجتماعية والادارية .

وعلى نفس المنوال نجد كتابات المكارى (احمد بن محمد المكارى) اشهر مؤرخى أسبانيا المسلمة الذى ولد فى اواخر القرن السادس عشر وتوفى سنة ١٦٣١م/ ١٠٤١هـ وكتابة الشهير (مختارات من تاريخ وآداب العرب . فى أسبانيا) نشر فى لندن فيما بين سنة ١٨٥٥/١٢٧٢م وسنة ١٨٥٩/١٢٧٦هـ وهو منجم ضخم من المعلومات عن مناطق اسبانيا المختلفة وحياة وعادات وأخلاق سكانها ، وهو يرسم بأسلوب حى دقيـق ، صورة بارعة عن الحياة اليومية فى الأندلس ، يتضح منه أنه كان ثمـة نشاط عقلى واسع ليس فى المدن الكبرى فقط مثل قرطبه وغرناطه وأشبيليه بل فى طول البلاد وعرضها .

والتفاصيل التى يرويها عن حياة المحامين والأطبـاء والموسيقيين والمغنيين والنساء المتعلمات من شاعرات ومحاميات ، لها قيمة لا تقدر فى تصور المجتمع الزاهر فى أسبانيا الإسلامية .

= تجارب الأمم وتعاقب الهمم ومنها تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق وطهارة النفس ، وترتيب السعادات ، ونديم الأحبـاب وجليس الأصحـاب الاعلام ١ / ٢١١ . (المترجم)

ورشيد الدين (فضل الرشيد الدين الهمدانى) هو أحد عظماء المؤرخين إن لم يكن أعظم مؤرخى إيران ، وتنافس همدان وقزوين وتبريز فى الإدعاء بمولده فيها وكمؤرخ من الدرجة الأولى، كتب رشيد الدين تاريخه عن المغول بأسلوب رصين ، وذلك بناء على طلب غازان خان وأضاف إليه لمحة خاطفة عن الأجناس الأخرى ، ووصفا للمناطق التى عرفها المغول وكان هـذا الكتاب فى أربعة مجلدات ويحمل عنوان : (جمع الثورات أو جماع التاريخ) وقد انجزه سنة ١١٣٠ م . وكتابات رشيد الدين هى حجر الأساس فى معرفتنا لتاريخ العصر المغولى والتركى.

ثالثاً - علم الاجتماع والعلوم السياسية :

إن المؤلفات المخصصة للفلسفة السياسية والاجتماع هى إحدى الآلىء الحقيقية فى الأدب [١] الإسلامى . فقد وضع فى اللغات الإسلامية الثلاث : العربية والفارسية والتركية [٢] نظريات عميقة متعددة فى فن الحكم والمشاكل المختلفة فى حياة المجتمع .

ولقد كتب الفارابى أشهر فلاسفة الإسلام قبل ابن سينا كتاباً ذا روحانية سامية !! ومشاعر وجدانية نبيلة وأسماه المدينة الفاضلة [٣]، وبدءاً من المبدأ الأفلاطونى القائل بأن الإنسان خلق ليعيش فى مجتمع ، وصل الفارابى إلى النتيجة القائلة أن الدولة جيدة التنظيم يجب أن تغطى كل المعمورة ، وأن تضم كل البشرية، وفكرة الدولة العالمية تثير فى الفكر الأوروبى مفهوم الامبراطورية الرومانية . والصراع بين البابوية والامبراطورية خلال العصور الوسطى أو نظريات بعض أصحاب اليوتوبيا « المدن المثالية فى العصر الحديث » .

لم تكن هذه الفكرة جديدة على الفكر السياسى ، بل أنها متضمنة فى المفهوم الثيومرساطى الإسلامى. والمدينة الإسلامية ما هى إلا تعبير واحد عنها ، ومن منطق اتجاهاته الصوفية فى فلسفته فانه يصنع للدولة الشاملة ولحكامها اهدافاً ادبية سامية . وكان الفارابى يؤمن بأن واجب هذه الدولة أن تضمن

---

(١) المؤلف هنا متأثر بالمصطلحات الأوروبية . فلقد استخدم كلمة الأدب وهى تعنى عند مفكرى الغرب : الفكر . (المترجم)

(٢) لغة الإسلام : العربية . (المراجع)

(٣) سبق التعليق على كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة (المترجم)

للمواطنين حكومه كاملة على الارض والسعادة بعد الموت ، والمدينة الفاضلة يجب أن يديرها حاكم واحد تتوافر فيه الصفات الآتية : —

ذكاء عظيم ، وذاكرة لا تخون ، وفصاحة ، وعقل مولع بالدرس ، واعتدال أو شهامة وحب العدل ، وثبات على الهدف بلا تردد ، وعزم أكيد على فعل الخير . فاذا لم تتوافر هذه الصفات فى رجل واحد ، فيمكن البحث عن اثنين أو ثلاثة أو أكثر من الرجال الذين تتوافر فيهم معا كل هذه الصفات اللازمة للحاكم ، وأن يعهد إليهم بحكم الدولة . وهكذا يصل الفارابى — كما فعل افلاطون — إلى حكومة الحكماء أو الجمهورية الارستقراطية .

إن هذه الآراء التى تتميز باتساع الأفق والفكر تناقض بشدة مفاهيم ابن زاهر — وهو عربى من صقلية عاش فى القرن الثانى عشر . الذى يقرن كتابه سلام الموتى بكتاب الامير [١] لميكافيللى ، فهو يحتوى على بعض الآراء المتطرفه من نفس القلق نسبة ولكن أشد دهاءاً وأكثر خداعا .

وقد الف الماوردى [٢] (٩٧٤ — ١٠٥٨م) وهو محام مشهور وكان

---

(١) ولد مكيافيلى بفلورنسا سنة ١٤٦٩ وتوفى سنة ١٥٢٧ ، ومن أهم أقواله فى كتاب الأمير الحرب والسياسة توأمان ، الغاية تبرر الوسيلة ، لا مجال للاخلاق فى السياسة لا توجد صداقات وإنما توجد مصالح !! (المترجم)

(٢) هو على بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردى (٣٦٤ — ٤٥٠ هـ / ٩٧٤ — ١٠٥٨ م) أقضى قضاة عصره من العلماء الباحثين — أصحاب التصانيف الكثيرة — ولد فى البصرة وانتقل إلى بغداد ، وولى القضاء فى بلدان كثيرة من أشهر مؤلفاته : أدب الدنيا والدين — الأحكام السلطانية — النكت والعيون — الحاوى فى فقه الشافعية — أدب الوزير — سياسة الملك — انظر الاعلام ٤/٣٢٧ (المترجم)

كبير قضاة مدينة استوا بالقرب من نيسابور - كتابه المشهور (الاحكام السلطانية) - وهو يعبر عن قواعد القوة فى الحكم - وهذا الكتاب الذى نجد فيه بعض النظريات الهامه عن الخلافة ، مخصص لقوانين الدولة الإسلامية السياسية والاجتماعية والقانونية ، وقد ترجم كتاب الأحكام السلطانية إلى الفرنسية ، كما ترجم إليها ايضاً كتاب آخر من كتب الماوردى أسمه (الوزارة) .

وهناك عالم آخر هو ابن خلدون [1] (١٣٣٢ - ١٤٠٦ م) إن أولئك الذين ينقدون الحضارة الإسلامية ، ولا يرون فيها إلا إنعكاسا باهتا للثقافة الهيلينية وينكرون أصالتها ، يضطرون إلى الأعتراف بأننا مدينون لبراعة ابن خلدون فى كتابه عن فلسفة التاريخ « المقدمة » وهو أول كتاب فى هذا الصدد ، فمن قبله لم تكن لدى أى عربى أو أوروبى فكرة عن التاريخ بمثل هذه النظرة الواعية والفلسفة أيضا .

---

(١) هو ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، ولد بتونس وتوفى بالقاهرة . وقد حصل ابن خلدون علومه فى تونس، وبعد أن درس كل العلوم المعروفه لعصره اشتغل بخدمة الدولة حينا ، وارتحل مسافرا حينا آخر ، وان المقدمة التى وضعها ابن خلدون لكتابه فى التاريخ العام الذى سماه « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » هى أساس التاريخ وحجر الزاوية فيه ، لقد وضع ابن خلدون قواعد التحقيق التاريخى الصحيحة وأنشأ فلسفة التاريخ أو ابتدأها مثل علماء الغرب المحدثين أمثال فيكو (١٦٦٨ - ١٧٧٤ م) الذى يدعى أنه مؤسس فلسفة التاريخ . انظر : فاسفة التاريخ - أحمد صبحى - ط الاسكندرية ١٩٧٦ . (المترجم)

والرأى الشائع عند النقاد عن ابن خلدون هو أنه أعظم مؤرخ إسلامى ، بل أحد عظماء المؤرخين فى كل العصور ، فقبل رجال علماء الإجتماع فى العصر الحديث بزمن طويل ، قبل كونت وفيكو وماركس وشبنلجر اعتنق ابن خلدون نظرية تطور المجتمع البشرى(١) وحاول أن يقدم تفسيرا عقلانيا لمسار التاريخ .

لقد كتب ابن خلدون تاريخ العالم فى ثلاث مجلدات مع مقدمة وسيرة حياته والمجلد الأول مع المقدمة جزء قائم بذاته نطلق عليه اسم المقدمة وهى فى ذاتها أثر خالد إليها يرجع الفضل فى شهرة المؤلف العالمية ، ففيها نجد — لأول مرة — نظريات عامة فى التاريخ والأشكال المختلفة من الحضارة ، وأثر المناخ وحياة البداوة ، والحياة المستقرة ، والعادات المميزة لكل حضارة من هذه الحضارات ، وكذلك ما احتوته من مبادىء إجتماعية وعلوم وفنون ، ويتكلم المؤلف عن العلوم القرآنية ، والرياضيات والغناء وموسيقى الآلات ، والزراعة والحرف المختلفة ، إنه دائرة معارف حقيقية يتخللها روح فلسفية عميقة حيث يعتبر التاريخ مجرد جزء من الفلسفة .

يقول ابن خلدون : لننظر فى الطبيعة الداخليه لعلم التاريخ إنه فحص

---

(١) مما هو جدير بالذكر انه لم يفطن أحد قبل ابن خلدون إلى أن الظواهر الإجتماعية تخضع لقوانين كظواهر طبيعية ، كما لم يسبقه أحد فى دراسة هذه الظواهر بغرض تحليلها تحليلا يؤدى إلى الكشف عن طبيعتها والأسس التى تقوم عليها والقوانين التى يخضع لها . ولا شك أن ما ابتهى إليه أوجست كونت (١٧٩٨ — ١٧٥٧ م) لهو بعث لما اكتشفه ابن خلدون (المترجم)

وتحقيق للحقائق ، وتمحيص دقيق للاسباب التي أدت إليها وفهم عميق للظروف التي نشأت فيها الأحداث ، وكيف بدأت ، فالتاريخ إذا هو فرع هام من الفلسفة ، ويجب اعتباره واحدا من العلوم ، وهذا هو المفهوم الحديث للتاريخ ، فدوره الأول هو تحليل الحقائق والبحث عن الأسباب ، ويفترض مقدمه المعرفة الشاملة للحضارة البشرية وعلم النفس . وفي الواقع من العسير أن نحلل مؤلف ابن خلدون الضخم ، فملاحظاته البارعة والعبقرية على ضعف الحضارات والتطور الدوري والدور البارز الذي يلعبه المستنيرون في تكوين الدولة التي يؤديها نظريته ، هي ملاحظات ساحرة حقا — إن نقطة الإنطلاق عند ابن خلدون هي تأكيده بأن هناك تشابه بين حياة الدولة وحياة الإنسان أو أي كائن حي آخر ، فالدول تولد وتنمو ثم تموت ، كما أنها تخضع لقوانين معينة للتطور الطبيعي ، ويكرس ابن خلدون جهوده لإكتشاف وتفسير هذا التطور . وآراؤه الإقتصادية لها صلة وثيقة لآراءه الحديثة مثل آرائه السياسية فيقول ابن خلدون [1] إن الدولة هي التاجر العظيم ، إنها كتاجر بارع بعيد النظر من واجبه أن يضمن أن المال الذي يصله من الضرائب يجب أن يجد طريقه للدوران بين الشعب ، والضرائب المعتدله هي أكبر حافز على العمل ومن الجانب الآخر فان زيادة الضرائب بدون وعي وتفكير — يجعلها عقيمة بلا ثمار — ويناقش في نقد عميق وتفصيل ، المصادرة والاحتكار والسيطرة الحكومية على التجارة ، قبل أن يصل إلى النتيجة القائلة أن ثروة الدولة تتوقف على سكانها وعلى روح المغامرة وعلى إنتاجيتها .

إن تدخل الدولة ومغالاتها في ذلك بواسطة السلطات العامة يقلل من

---

(١) في الأصل : فيقول المؤلف المغربي . (المترجم)

ثروتها ويفوق النمو الطبيعى لاقتصادها . وفى الحقيقة لم تضف المدارس الحديثة للتحرر الأقتصادى شيئا إلى هذا الرأى الذى قال به ابن خلدون فى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى".

وأبو الفضل الذى كان فيلسوفا وعالما ورجل دولة وصديقا شخصيا للامبراطور عظيم مستنير . وأبو الفضل هذا يعد واحدا من أعظم رجال الهند فى العصر المغولى ، فكتابه « أكبر نامه » هو بلا شك أعظم مؤلف عن تاريخ الإسلام فى الهند ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أجزاء ، أولها يحتوى على تاريخ غزوات تيمور لنك فى الهند ، وغزوات أمراء العائلة التيمورية الذين حكموا الهند ، وثانيها يخصص تماما لتاريخ الحكم المجيد الطويل للامبراطور « أكبر » وثالثا الذى يسمى « عين أكبرى » ينقل لنا كمية من المعلومات الخاصة بأعمال دواوين الدولة القانونية والإدارية والظروف الإجتماعية للهنود ودياناتهم وفلسفتهم ، وتتناول عدة فصول مسائل تتعلق بفنونهم وحرفهم وماليتهم العامة ، والتقارير الإدارية والإحصائيات ، وفصول غيرها تتناول التحسينات الفنية فى أسلحة جيوشهم ، والكتب التى ترجموها ... كما تحتوى « عين أكبرى » على كمية كبيرة من أمثالهم السائرة وأحكامهم الأخلاقية ، والمبادىء السياسية لأكبر التى سجلها وزيره الأمين وصديقه يوما بعد يوم .

ويقول كارادى فو : هذا العمل الخارق للعادة ، النابض بالحياة والأفكار والمعرفة حيث تفحص كل وجوه الحياة وترتب وتصنف . وحيث التقدم المستمر يبهر العين ، وهو وثيقة تستطيع الحضارة الشرقية أن تفخر بها بحق ، فالرجال الذين عبروا عن عبقريتهم فى هذا الكتاب لا شك كانوا يتقدمون عصرهم فى فن الحكم العملى ، ولعلهم كانوا أيضا يتقدمونه فى نظراتهم للفلسفة

الدينيه . فأولئك الشعراء ، وأولئك الفلاسفة يعرفون كيف يتعاملون مع عالم المادة ، فهم يلاحظون ويدونون ويرتبون ويحسبون ويجربون ، فكل الآراء التى تعرض لهم يختبرونها على الحقائق ، ويعبرون عنها بفصاحة ولكنهم أيضا يؤيدونها بالإحصائيات .

وفى الغرب نحن ندين بالفضل لليبنتز الذى فتح عيوننا على أهمية الإحصائيات التى نعتبرها علما جديدا ، وعلى مدى الخدمة التى يمكن أن تؤديها . أما حكومة « أكبر » فقد استخدمتها بطريقة مثالية فى إدارتها منذ ثلاثة قرون مضت . مع مبادىء التسامح والعدالة الإسلامية .

رابعا ـ الفنون التطبيقية والهندسة المعمارية :

أن تقدم الفن الاسلامى من أسرع ما سجله التاريخ ، ففى بداية التاريخ الهجرى لم يكن هناك فن اسلامى[1] فهو نشأ عن انصهار الأنماط التى وجدها العرب فى أثناء فتوحاتهم لأقطار شرق البحر المتوسط ، وحالما تأسست سرعان ما انتشرت فى كل دوله الخلافة الأطراف ، وقد طوروا قواعد هذا الفن الجديد وأثروه بالشعوب المختلفة التى تكون جزءاً من الدولة[2] الاسلامية حسب براعتهم القومية والتأثيرات الخارجية التى خضعوا لها .

وعلى ذلك لا يمكن الخلط بين أثار القاهرة أو قرطبة وأثار سمرقند أو دلهى ، فالتوازن الدقيق بين الخطوط والأحجام والقيود المعمارية فى أثار حلب ودمشق تختلف عن الزخرفة فى قصور غرناطه واشبيلية .

فعبقرية هؤلاء الرجال الخارجة من الصحراء تظهر بقوة فى الخطوط الهندسية فى فن الارابيسك والقرميد المطلى بالميناء والزخرف بالازهار فى اصفهان انما يعكس احلام شعراء ايران .

ولكن هذا الاختلاف لا ينفى الوحده ، فالفن الاسلامى[3] يختلف عن غيره من الفنون ، وهذه الوحدة فى الفن الاسلامى نتيجة للوحدة الروحية فى

---

(١) جدير بالذكر أن العرب لم يعنوا بفن النحت والتصوير المجسم عنايتهم بالبناء والزخرفة ، لأنهم رأوا ذلك تشبيها بعبدة الأوثان . انظر : فنون الإسلام ـ زكى محمد حسن ـ ص ٨ ط ١٩٥٨ . (المترجم)

(٢) فى الأصل : الامبراطورية (المترجم)

(٣) فى الأصل (الفن العربى) وهذا يخالف نهج الباحث (المترجم)

المجتمع الإسلامى ، والحساسية الخاصة التى خلقتها تعاليم القرآن ، فالدين هو الذى ساعد على اخفاء هذه المميزات الروحية العالية على الفن الاسلامى ، والتى تعرفه بها ، ويظهر ذلك بشكل خاص فى الفهم المعمارى السليم عند الفنانين المسلمين (١) وفى الرسومات الارابيسكية . ومن الصعب علينا ان نحكم على الفن الإسلامى ، لانه لم يبق شىء من آثار بغداد القديمة ولكن توجد كتب تاريخية كثيرة فى وصف عاصمة العباسيين كمعجزة روائع الجبال .

إن اجتياح المغول بقيادة هولاكو عام ١٢٥٨م لبغداد قد دمرها تماماً حتى أصبح من العسير اليوم تحديد موقع أى قصر من القصور . ولا يمكن لنا أن نتصور روائع الف ليلة وليلة الا عن طريق الوصف ، ولعله كان من الصعب علينا أن نصدق إن مثل هذه الروائع وجدت حقيقة لو لا ما نراه فى بعض الآثار مثل قصر الحمراء وقصر أشبيلية . ورغم ذلك فان قصر الحمراء الذى لا يزال يبهر عيوننا بسبب روعته ، لا يمكن أن يقارن بتلك القصور التى أختفت إلى الأبد ، وان كانت أوصافها لاتزال موجودة عندنا ، ومثال ذلك فى أسبانيا نفسها مدينة الزهراء التى بناها عبد الرحمن الناصر [٢] على شرف محبوبته التى كان اسمها « زهراء » !!

---

(١) تنقسم العمارة الاسلامية ثلاثة أقسام : عمارة دينية تتمثل فى المساجد ، ومدنية تتمثل فى المدن وبيوت الخاصة ، وحربية تتمثل فى الحصون والقلاع (المترجم)

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل ٢١٧ — ٣٥٠ هـ) أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الأموية بالأندلس كان كبير القدر ، كثير المحاسن ، محباً للعمران ، مولعاً بالفتح وتخليد الآثار — أنشأ مدينة الزهراء وبنى بها قصر =

ولذلك فان الفن الاسلامي المقدس في المساجد هو الشاهد لنا على جمال وروعة زخارف العمائر الاسلامية فيما مضى ، ولا يمكن نكران أثرها في عمارة وقلاع العصور الوسطى . وقد احتفظت أسبانيا بالفنون الأندلسية الاسلامية التي كانت تحت حكم العرب مباشرة « أبان العصور الوسطى » وبالتالي فان تأثيرها على الفن الإيطالي كان إلى حد بعيد نتيجة لإستقرار العرب في صقلية، ودخلت إلى فرنسا عن طريق «سبتمانيا» ومؤلفات « إميل مال » وهو الحجة في هذا الموضوع تبين أهميتها . ولقد ألقى « مال » الضوء على وجوه الشبه المثيرة بين الفن الاسلامي وبعض عناصر العمارة الرومانية . فهناك بعض الأشكال المميزة للفن الاسلامي، فمثلا الأقواس ثلاثية الورقات والكأسية وهو على شكل زهرة متفتحة وأعمال الفسيفساء في الطراز الشرقي يمكن رؤيتها في الأوفرن كنيسة نوتردام دى بو في كليرفون . كما أن الفسيفساء على النمط الاسلامي والأشكال الزخرفية مثل التي ذكرت يمكن رؤيتها في عدد آخر من الكنائس في الأرفرن .

وأثر مسجد قرطبة واضح جدا في كنيسة نوتردام دى بو ، لا يمكن أن يكون من قبيل الصدفة أن يرى الإنسان في الكاتدرائية في « بو » الأقواس ثلاثية الورقات والأقواس متعددة الفصوص، والأقواس التي على شكل حدوة الحصان ولا الأقواس الحجرية ذات اللونين الموجودة في جامع قرطبة ، والأصل الشرقي لكل هذه الأشكال يشهد عليه الحروف العربية التي تحيط بالمدخل والواجهات المميزة للمسجد في قرطبة والخماسيات أيضا جميعها تذكرنا بالأندلس .

= الزهراء المتناهي في الفخامة . حكم خمسين سنة وستة أشهر ، وكان حريصا على الملك يقظا صارما ـ الاعلام ٣ / ٣٢٤ (المترجم)

وفى أغلب هذه المقالة ذكرنا التأثير الاسلامى فى الفنون الصناعية ، ولكنه كان أقوى أثرا فى « الفنون الصغرى » فان الأشياء الفاخرة الترفيهية التى صاغتها الأيدى الماهرة للصناع المسلمين قد بهرت الغربيين ، والكثير من هذه الاشياء لا يزال موجودا فى الكنوز الملكية أو الكنيسة .

فكؤوس الشراب والأباريق المنحوتة فى البللور ، والأوانى الزجاجية المطلية بالميناء الملونة تبدو أنها كانت لها شهرة خاصة ، وكذلك الأشغال الجلدية المنقوشة والأسلحة والسجاد والأقمشة وبخاصة الحرير الذى كان تستخدم أجمل أصنافه فى الملابس الملكية والكهنوتية مثل الملابس التى كانت تلبس عند تتويج أباطرة الدولة الرومانية المقدسة ، أو الاردية الكهنوتية الفاخرة التى ترى فى متحف الفنون الزخرفية فى باريس .

ولم يكن للفن الإسلامى تأثير فى الفنون الصناعية فحسب فان الدكتور ف . ديز فى كتابه القيم عن الفن الإسلامى ، يصف الأثر الذى تركه — حسب رأيه — فن النحت السلجوقى للاشياء الحية على أوربا قائلا : — إن الأهمية الفنية الكبيرة لهذه الزخرفة التركية الإسلامية التى تشتمل على أشياء حية . إنما تظهر فى انتشارها فى أوربا الشمالية ، وتفسير هذا الأسلوب الزخرفى فى القرون الوسطى المتأخرة نجده فى تحول التجارة العالمية من الجنوب للشمال نتيجة لهجرة الأتراك وتقدمهم المستمر نحو الغرب فاحدى طرق التجارة كانت تمر من آسيا الصغرى إلى الشمال ، أما حول جنوب الأورال أو غيرها ، ثم عن طريق المانيا الشرقية وبحر البلطيق إلى انجلترا ، وقد تأسست المدن التجارية مثل همبورج ولوبيك ورونجا وتوفجورود خلال النصف الثانى من القرن الثانى عشر ، كما أن فلاديمير وسودال شرق موسكو قد فاقتا كييف فى الأهمية . وواجهات الكنائس القديمة فى هاتين المدينتين مازالت تشهدان

على المدى الذى بلغه الأسلوب التركى الإسلامى فى الزخرفة فى أوربا .

ودعنا نذكر فى لمحة عابرة الدور الهام الذى لعبه الفن الإسلامى فى الزخرفة فى أوربا . فى شجرة الحياة ذلك الرمز العزيز عند نخبة الشرقيين التى تزين عادة بحيوانات متواجهة يمكن رؤيتها على أعمدة . والنحت البارز فى كنائس سان لوران فى جرينوبل وسانت اتيان فى بيفيه ، وسان بريس فى شارتر ، ونوتردام دى كوبتر فى ليانز وفى كنائس غيرها . كما أن نفس الشىء يظهر فى المنسوجات والأوانى البلورية والزجاجية والمخطوطات المرسومة ففى توراة تشارلز الأصلع توجد أسود على هوامش الشجرة المعكوسة . أما فى انجيل لوثر فتوجد فهود ، وهى دليل آخر على الأصل الشرقى الذى استلهمه الفنان ، كما نجد الحيوانات المتواجهة تدون شجرة الحياة فى أماكن أخرى مثل التريئتية فى كان وفى سان جرمان دى بارى فى باريس وغيرها من الأماكن ، ومجموعات من حيوانين كل منهما يلتهم الآخر ، وحيوانات أسطورية مثل الجريفين (حيوان خرافى نصفه أسد ونصفه نسر) والطائر الذى له رأس إنسان ، والنسر ذو الرأسين ، كل هذه مقتبسة عن الفن الاسلامى . وكذلك الزهور المنمقة على شكل النخيل المصفور ، والتى ظهرت فى العهد الكارولينى .

هذه جميعها أساليب أصيلة وعريقة من السهل تمييزها . ولكن فن الزخرفة الاسلامية يتلون أساسا من مجموعات من الخطوط ، ولذلك فمن العسير تحديد أن هذه المجموعة أو تلك قد نقلت إلى الغرب فى أشكال متحورة قليلا أو كثيرا ، ولا بد أن نقل هذه الأشياء قد حدث لأننا نجد فى الفن الرومانى فى مواضيع ظاهرة أنها مستوحاة من النقوش العربية لدرجة أنه من

الممكن قراءة البعض منها ، وتوجد أمثلة لذلك فى فوت تشلهاك فى اللوار الأعلى ، وعلى أعمدة فى تولوز وسان جيلدم وفى نقش بارز فى متحف ليون، وأحد أبواب كاندرائية (بو Puy) محاط باطار من النقش العربى يقول ما شاء الله . ومن العجب أن نجد فى المتحف البريطانى صليبا إيرلنديا من القرن التاسع الميلادى منقوش فى وسطه (بسم الله) !!! . وأنه فى حجرة مقدسات كاندرائية ميلان وعلى أبواب سان بير التى أهداها البابا يوجين الرابع توجد نقوش عربية حول رأس المسيح وعلى ثياب القديس بطرس والقديس بولس !!

خامساً - الموسيقى :

إن المسلمين المتمسكين بالإسلام يتخذون موقف التحفظ من الموسيقى فالعبادة الإسلامية لاتستخدمها (١) كما أن موقف الفقهاء ومؤسسى المذاهب

---

(١) يدور موقف الاسلام من الموسيقى حول :

(أ) حرمة إقتناء آلات الموسيقى وكذلك الاتجار بها .

(ب) حرمة الاستماع إلى الموسيقى .

(جـ) حرمة استماع الغناء بالموسيقى مهما كان نوع الكلام المقول إلا ما جاء النص على إباحته ، كالدف فى أيام العيد والعرس على أن لا يخرج الغناء عن قواعد الاسلام وأصوله .

(د) تحريم العمل بالموسيقى وإتخاذه وسيلة للكسب .

(هـ) حرمة إستئجار المغنيين والمغنيات وبذل المال لهم .

انظر : تحريم آلات واللهو والغناء : هاشم بن حامد الرفاعى — ط. الكويت ١٩٨٦ .

وهناك الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التى تحرم الموسيقى أو الاستماع إليها منها :

— عن عبد الله بن عمرو — رضى الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : ان الله حرم على أمتى الخمر والميسر والمزر والكوبا (الطبل) والغبيراء، وزادنى صلاة الوتر — حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١/٢٧٤، ٢/١٨٥ وأبو داود رقم ٣٦٨٥ ، والبيهقى ١٠/٢٢١ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه — عن النبى ﷺ أنه (نهى عن كسب الزمارة) حديث صحيح أخرجه أبو عبيد فى غريب الحديث ١ / ٣٤١ والبيهقى ٦/١٢٦ والبغوى فى شرح السنة ٨/٢٢ (لقمان / ٦) .

وجاء فى تفسير قوله تعالى « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » =

الأربعة كانوا يعادونها صراحة . أما الطوائف الصوفية مثل المولوين (يعرفون فى الغرب باسم الدراويش المترنحين) والدركاوة (ينتشرون فى شمال افريقيا بشكل خاص) وبعض الطوائف الصوفية فانهم يهتمون بالغ الاهتمام بالموسيقى فانشاد القصائد الصوفية والرقص المصاحب للآلات الموسيقية أمر أساسى فى تدريبهم الروحى فالصوفيون يعتقدون أنهم يستطيعون أن يجدوا فى الموسيقى صدى الكلمة الاولى غير المخلوقة !! فاعتادوا على استخدامها كمساعد للدافع الباطنى على انسجامهم مع النغم الكونى والبلوغ إلى معاينة الحقيقة الإلهية [١] .

— اخرجه ابن أبى شيبه باسناد صحيح عن ابن مسعود قال : هو الله والغناء . ذكره الشوكانى فى نيل الاوطار (٨ / ١١٣) . وجاء فى الأثر عن ابن عباس رضى الله عنهما . (الدف حرام ، والمعازف حرام ، والكوبة حرام والمزمار حرام) . (المترجم)

(١) يقول ابن القيم فى اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١/٢٠٤ ط مكتبة الرياض الحديثه ه . ت.

. . . ويا شماتة أعداء الاسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الاسلام « الصوفية » قضوا حياتهم لذة وطربا . واتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، مزامير الشيطان أحب إليهم من إستماع سور القرآن . . ولو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى أخره لما حرك ساكنا ، ولا أزعج له قاطنا ، ولا أثار فيه وجدا ولا قدح فيه من لواعج الشوق إلى الله زندا ، حتى إذا تلى عليه قرآن الشيطان ، وولج مزموره سمعه ، تفجرت ينابيع الوجد من قلبه على عينيه فجرت ، وعلى أقدامه فرقصت ، وعلى يديه فصفقت ، وعلى سائر أعضائه فاهتزت وطربت وعلى أنفاسه فتصاعدت ، وعلى زفراته فتزايدت ، وعلى ميزان أشواقه فأشتعلت . فيا أيها الفاتن المفتون ، البائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون ، هلا كانت هذه الأشجان عند سماع القرآن ، وهذه الأذواق والمواجيد عند قراءه القرآن المجيد ؟! (المترجم)

أما الفقهاء وعلماء الشريعة فانهم يخشون القوة الانفعالية للموسيقى والسحر الذى لا يقاوم ، والذى يمكن ان يضرب على أوتار الإغراء فى قلب الانسان ، كما أنها تطلق الفنان للعواطف الجامحة وتقود الإنسان إلى أسوأ الإضطرابات الاخلاقية .

ولكن رفض مؤيدى أراء الفقهاء لم يمنع من تطور الموسيقى فى المجتمع الاسلامى . فمنذ بداية الدولة (١) الاسلامية ، كان للموسيقى مكانتها الرفيعة فى بلاط بنى أمية فى دمشق ، و بنى العباس فى بغداد فان هارون الرشيد وخلفاءه أعطوا الموسيقى نفس الرعاية التى أعطوها للعلوم والفنون الأخرى .

ومن الشرق - حيث تطورت - دخلت الموسيقى أسبانيا عن طريق المغرب ، وبناء على ما ذكره ابن رشد كانت اشبيلية هى المكان الذى ترعرعت ، فتباحث الفلاسفة فى الأنسجام الجمالى الموسيقى وتأثر الاصوات على النفس البشرية وقوتها على التعبير ، ويحتفظ التاريخ بمجموعة من أشهر الموسيقيين والمغنين ، ويكفى أن نذكر اسم أبى الحسن على بن نفوس الذى يسمى زرياب الذى بعد أن بدأ نشاطه فى بغداد واصله ببراعه خارقة فى بلاط عبد الرحمن الثانى فى قرطبة .

ويقول عنه ليفى بروفنال : أثبت أنه مبتكر بارع فى الموسيقا فأقام (كونسرفتوار) سرعان ما تطورت فيه الموسيقى الاندلسية التى كانت فى البداية شبيهة بالمدرسة الشرقية والتى لاتزال حية فى كل مكان فى المغرب الإسلامى .

أما فى الجانب النظرى فان من أول الكتاب المسلمين ، والذى حوله اهتمامه نظرية الموسيقى ، كان الفيلسوف البارز الفارابى فنحن ندين له بكتاب الموسيقى فالمؤلف الذى نشأ اهتمامه بالموسيقى عن اهتمامه بالرياضيات وبالفيزياء كان

(١) فى الأصل : الامبراطورية . (المترجم)

أول من قدم تفسيراً علمياً للصوت ووضع قواعد لصنع الآلات الموسيقية .

وبدأ العرب بدراسة السلم الموسيقى الصينى الإيرانى ثم وضعوا السلم الطبيعى وبلغوا درجة كبيرة من التقدم فى الفن الآلى وفى الآلات الكثيرة — التى كانت فى ذلك الوقت الربابة التى كان يستخدمها المنشدون ، والجيتار والعود والطبلة والرق والصاجات وغيرها . ووضعوا النماذج الاولى للبيانو والأرغن . . . . وكل هذه الآلات أدخلها المسلمون الى أيبريا (أسبانيا والبرتغال) ومنها إلى أوربا الغربية .

تم بحمد الله تعالى

الفهـــــــارس

١ ـ فهرست الآيات القرآنية

٢ - فهرست الأحاديث النبوية الشريفة

المصادر والمراجع(*)

أولا : العربية

١ ـ ابن أبي اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ٣ أجزاء ط مصر ١٣٤٧ هـ .

٢ ـ ابن القفطى : تاريخ الحكماء ، ط ليبزج ١٩٠٣ .

٣ ـ ابن النديم : الفهرست ، المكتبة التجارية ، القاهرة د. ت.

٤ ـ ابن خلدون : المقدمة : تحقيق د. على عبد الواحد وافى ، لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٦٠ .

٥ ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨ .

٦ ـ ابن صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ، تحقيق لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩١٢ .

٧ ـ أبو ريان « دكتور محمد على » : تاريخ الفكر الفلسفى فى اسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٦ .

٨ ـ أمين « أحمد » : ضحى الاسلام ، ثلاثة أجزاء ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦ .

٩ ـ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٩ .

١٠ ـ البحراوى « دكتور عبد القادر » : إنتقال التراث الاسلامى إلى أوروبا أبان العصور الوسطى ، ط الاسكندرية ١٩٨٢ .

(*) وهناك مراجع أخرى وردت فى الهوامش ولم نذكرها هنا .

١١ – البحراوى «دكتور عبد القادر» : الخوارج ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ

١٢ – البحراوى « دكتور عبد القادر » . أبو بكر الرازى – الظاهرة فى الفكر الاسلامى ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ .

١٣ – بدوى « دكتور عبد الرحمن » : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية – مجموعة دراسات لبعض المستشرقين – مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٦ .

١٤ – جوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة ١٩٦٩

١٥ – الدفاع « د. على عبد الله » : أثر علماء المسلمين العرب فى الفلك – مؤسسة الرسالة ١٩٨٥ .

١٦ – ديلاس « اوليرى » : الفكر العربى ومكانته فى التاريخ – ترجمة تمام حسان ومراجعة مصطفى حلمى ، القاهرة د. ت.

١٧ – الرازى «محمد زكريا» : الاسرار – تحقيق محمد تقى، طهران ١٨٦٤

١٨ – رينان « ارنست » ابن رشد والرشدية – ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ١٩٥٧ .

١٩ – سزكين « د. فؤاد » : محاضرات فى تاريخ الاسلام – مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود .

٢٠ – صبحى « د. أحمد » : فلسفة التاريخ – ط الاسكندرية ١٩٧٦ .

٢١ – طوقان «قدرى حافظ» : العلوم عند العرب – سلسلة الألف كتاب – القاهرة د. ت.

٢٢ – عباس « إحسان» : العرب فى صقلية – دار المعارف بمصر ٥٩ ١٠

٢٣ – الفارابى: الجمع بين رأيى الحكيمين أفلاطون الإلهى وارسطوطاليس تحقيق البير نصرى ، بيروت ١٩٦٨ الطبعة الثانية .

٢٤ ـ فياض «محمد» : جابر بن حيان وخلفاءه ، القاهرة ١٩٦٩ .

٢٥ ـ قاسم « د. محمود » : نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توما الأكويني ، الأنجلو ١٩٥٦ .

٢٦ ـ القلقشندي : مآثر الأنافة في معالم الخلافة ـ تحقيق عبد الستار فراج ـ بيروت ١٩٨٠ .

٢٧ ـ النشار « د. علي سامي » : مناهج البحث عند مفكري الاسلام واكتشاف المنهج العلمي ، دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٦٧ .

٢٨ ـ هاشم « زكريا » : فضل الحضارة الاسلامية على العالم ، نهضة مصر ١٩٧٠ .

٢٩ ـ هوز « ديسكنز » : تاريخ العلم والتكنولوجيا ، الترجمة العربية ، ط القاهرة ١٩٦٧ .

٣٠ ـ هونكه «زيجريد» : فضل العرب على أوروبا « شمس العرب تسطع على الغرب » ، ترجمة فؤاد حسين علي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

ثانيا ـ الأجنبية

1 — Goichon (A.) ; La philosophie d' Avicenna et son influence En Europe Medirvale Paris 1951 2 end Edin.

2 — Gilson, E ; hinstory of christian philosoply in the middle ags, New York 1955.

3 — Thry, G. ; Toledo, Ville de renaissance mdevale point de Ionction entre la philosphie mu'gmale et la pensée chrestinne, 1944.

فهرست موضوعات الكتاب

المراجـــــــع

- الدكتور عبد الله إبراهيم بن عبد الله الوهبي .
- مواليد ١٣٦٤ بالأحساء ـ المملكة العربية السعودية .
- حصل على شهادة البكالوريوس من كليه الشريعة بالرياض سنة ١٣٨٩ .
- والماجستير والدكتوراه من كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر سنة ١٣٩٩ .
- وقد عمل بالتدريس بكلية الشريعة بالرياض ثم عين عميدا لكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بالاحساء سنة ١٤٠٧ هـ .
- له مؤلفات وبحوث فى التفسير وعلومه نشر منها :ـ

١ ـ العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه فى التفسير .

٢ ـ بحث بعنوان « التفسير بالأثر والرأى وأشهر الكتب فيها » .

٣ ـ تحقيق تفسير العز بن السلام « سيتم نشره قريبا ان شاء الله » .

المـــــترجم

- دكتور عبد القادر البحراوى .
- من مواليد الاسكندرية ١٩٥٥ م .
- عين معيداً ثم مدرسا مساعدا ثم مدرسا بكلية الآداب .
- ليسانس آداب جامعة الاسكندرية ـ تمهيدى ماجستير من جامعة عين شمس .
- ماجستير ودكتوراه من جامعة الزقازيق .
- أعير للعمل بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية فى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٥٢٧٦ / ٨٨

١١ / ٨ / ١٩٨٨

مطـــابع السفـير
شارع الصحافة ـ المنشية الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية